# إتحاف أعلام الناس
# بجمال أخبار حاضِرَة مِكْناس

تأليف

ابن زَيْدان: عبد الرحمن بن محمد السّجلماسى

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الثانى

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٢
تاليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسى ، تحقيق: على عمر
- ط ١ – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : X ٣٩٠ ٣٤١ ٩٧١
ا- الفقهاء – معاجم
أ- عمر ، على (محقق)
ب- العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع :٧٦٦٧/ ٢٠٠٨

obeikandl.com

obeikandl.com

# حول ظهور الجزء الأول[1]
# (من هذا التاريخ)

* * *

لقد كان لظهور الجزء الأول من هذا التاريخ الحفيل فى عالم المطبوعات رنة استحسان وصدى تقدير ودوى قوى فى سائر النوادى العلمية والأدبية والتاريخية، وما بزغت شمسه حتى تخلل صيته الآفاق، واشرأبت إليه الأعناق، وأحدقت به الأحداق، وتناقل صحيح حديثه الرفاق، وتصفحه نقاد العلماء والكتاب والأدباء من أقطار المغرب الثلاث إلى مصر والشام وأوروبا على اختلاف الملل والنحل وكتبت فى شأنه المجلات العلمية والصحف الأدبية شرقية وغربية عربية وعجمية وتهاطل على سماحة مؤلفه من رسائل التقريظ والثناء والتحبيذ من سائر المقامات ما سينشر عند انتهاء الكتاب إن شاء الله تعالى.

أما الآن فسيتوج هذا الجزء الثانى بالظهير الشريف الذى أصدرته جلالة مولانا السلطان أعزه الله تقريظا للكتاب وجوابا للمؤلف عن إهدائه إياه لجنابه الكريم.

وإن المؤلف ليشكر المحتفلين بكتابه على اعتنائهم والناقدين على ملاحظاتهم التى أبدوها عن إخلاص وصفاء. كما أنه يلتمس الأعذار للذين قدم لهم الجزء الأول هدية ودية، لمكانتهم العلمية وسمعتهم الأدبية فلم يتنازلوا - وقليل ما هم - حتى لرد السلام.

وإليك رسم الظهير السلطانى الشريف متلوًا بالجواب المقيمى اللطيف.

---

(١) نص ما جاء فى صدر الجزء الثانى من إتحاف أعلام الناس.



obeikandl.com

ظهير جلالة السلطان سيدى محمد بن يوسف للمؤلف

LE RESIDENT GENERAL

**كتاب من المقيم العام الحالى مسيو لوسيان للمؤلف**

obeikandl.com

# إتحاف أعلام الناس
# بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان

obeikandl.com

obeikandl.com

## ٨٧- إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل[١]

أحد رجال صحيح البخارى ذكره فى سنده مرة واحدة فى أواخره - ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب، ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول. بنت أجل نبى وأفضل رسول صلى الله عليه وعلى آله وحزبه.

حاله: ماذا عسى أن أقول فيمن كان جبريل لجده خديما، والله صلى عليه وملائكته، وأمرنا أن نصلى عليه ونسلم تسليما، واختاره على وحيه أمينا، وقرن طاعته بطاعته وجعل حبه ذخرا ثمينا. وماذا عسى يحبر اليراع. فى محامد من طبقت مفاخره البقاع. ولو حاول المثنى عليه أقصى ما يحاول. فأين الثريا من يد المتناول. وبأى لسان أُعرب. عن فضائل من محا آية الشرك من لوح المغرب. وأزاح ظلام الكفر والطغيان. بنور الهدى والإيمان. ورضع عباب العلم غضا طريا. وجعل إمامه الكتاب والسنة ولم يأت شيئا فريا. وجاهد فى الله حق جهاده. وصير كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله العليا وذلك أقصى مراده.

وأبوه دنية ديباجة بنى هاشم ورءوس قريش على سيادته فيهم شدت منهم الحيازم. وجده الحسن روى عنه إمامنا مالك. طائر الصيت فى سائر المسالك. وقال: إنه ممن يقتدى بفعله. اعترافا منه بورعه وفضله. وأخرج له البخارى فى الصحيح. ووثقه الأئمة المرجوع إليهم فى التعديل والتجريح. ورث ولده المترجم المجد لا عن كلالة. وتردى برداء الوقار والجلالة. تهيأت له الخلافة العظمى. إذ رأت مكانته أفخم وأسمى. فأمهرها القبول. ونهج فيها نهج جده خير رسول.

كان فى علم الكتاب والسنة من البحور الزواخر. لا تكدره المواخر بلغ مرتبة أهل الاجتهاد. وعلم جلالته ومكانته فى العلم كل من ساد فى أقطار البلاد.

---

(١) من مصادر ترجمته: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١/٢٠٨ وما بعدها.

حاضـرها والباد. كان لا يتقـيد بمذهب شأن السلف الصـالح ذوى السعى الرابح. عاصر مالكا وغيره من صدور الأمة. المهتدى بهديهم فى كل مدلهمة.

فر بنفسه فى وقـعة فَخّ التى كانت فى أيام موسى الهادى بن مـحمد المهدى العباسى على مـا قاله غير واحد من أعلام هذا الشأن، وصـححه الحلبى فى دره. وفَخّ بفتح الفاء وتشديد الخاء – وقد وهم من أبدل الخاء جيما، وكانت هذه الوقعة الشنعاء يوم السبت وصادفت يوم التروية سنة تسـع وستين ومائة، وكان هذا الإمام العظيم المقـدار ممن حضـرها هو وشقـيقـاه سليمـان ويحيى فى جـملة أبناء عـمه وغيرهم.

ولما قتل فيها من قتل منهم ومن جملتهم شـقيقه سليمان كما فى «تاريخ ابن جرير» و«مـروج الذهب» للمسـعودى و«الدر السنى» للقـادرى وفر من فـر، كان صاحب الترجمة ممن فر ناجيا بنفسه وفى معيته مولاه راشد فتوجها من مكة شرفها الله إلى مصر ثم إلى إفريقـية فأقاما بالقيروان مدة ثم سارا إلى تلمـسان واستراحا بها أياما، ثم ارتحلا عنهـا قاصدين طنجة فعبرا فى طريقـهما وادى ملوية، ودخلا بلاد السوس الأدنى والـسوس الأقصى وتجـولا فى جبل درن إلى أن وصـلا مدينة طنجة، ثم رحـلا عنها إلى مدينة وَلِـيلى، ونزلا على أميرها الأَوْرَبِى إسـحاق بن محمد بن عـبد المجيد، وذلك غرة ربيع الأول سنة اثنتين وسبـعين ومائة باتفاق. قال علامة الآفاق ابن غازى فى رجزه الذى ذكره فى «تكميله»:

| | |
|---|---|
| وعـقـــدت راياته فى القـــصب | وجـــاءنا إدريس عـــام [قـــعب] |
| إلى وليـلى المغـــرب الـقـــصى | إذ قـــام صنوه عـلى المهـــدى |
| وبعد مـا سم سمـا النجل الأبى | واخـتلط فـاسنـا لعـام [قـضب] |

وما وقع فى «الدرر البهية» من أن ذلك كان سنة سبعين وهم.

وقد كان الأَوْربى على مذهب الاعتزال، فرغب عنه رغبة فى التمذهب بمذهب هذا الإمام العظيم الشأن الذى هو مذهب أهل السنة والجماعة، فتمذهب به، قال الحلبى: صرح بذلك جمع من المؤرخين.

ثم جمع إخوانه وقبائل البربر فعرفهم بحسب ونسب هذا البضعة النبوية الطرية وما حوته من الأوصاف الحميدة وقرابتها من رسول الله، وأشار عليهم ببيعته فأجابوا بالسمع والطاعة، وكان ممن أسرع لبيعته غمارة وزواغة ولواتة وصدراتة ومكناسة ونفزة وغياثة وفى مقدمتهم قبائل أَوْرَبَة أهل القوة والشوكة لذلك العهد، وكافة البرابر المخالفين لبرغواطة، فبايعوه على السمع والطاعة ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته.

وقد اتفقوا على أن بيعته كانت سنة قدومه وهى سنة اثنتين وسبعين ومائة، واختلفوا فى شهر ويوم بيعته منها.

فقيل فاتح ربيع الأول، وعليه جرى ابن أبى زرع فى «الأنيس» وابن القاضى فى «الجذوة» كلاهما فى ترجمة الحسن ابن قاسم آخر ملوك الأدراسة.

وقيل عند دخول رمضان وعليه اقتصر البكرى، والجزنائى، والحلبى.

وقيل رابع عشر منه، وعليه جرى أولا ابن أبى زرع، وابن القاضى.

ثم بعد مبايعة الناس له قام خطيبا فقال: أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذى تجدون من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا[1].

ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر وبايعوه على المنشط والمكره، فتمكن سلطانه وقوى أمره، ووفدت عليه الوفود من سائر الجهات وقصد إليه الناس من كل صوب وصقع.

ثم حشد الجيوش وخرج غازيا إلى بلاد تامسنا، ففتح أولا مدينة شالة ثم بعد سائر بلاد تامسنا، ثم سار إلى بلاد تادلا، وقد كان أكثر أهلها على دين

(١) الاستقصا ١/ ٢١١.

النصرانية واليهودية والمجوسية، وكان قد بقى منهم بقية متحصنون بالمعاقل والجبال والحصـون المنيعة، فلم يزل يسـتنزلهم ويقفـو أثرهم حتى اعتنقـوا الإسلام بالطوع والكره، وأباد من بقى منهم متعصبا بعد أن فتح مدائنهم ومعاقلهم.

ولما امتد نفـوذه بتلك الأصقاع رجع لمدينة وليلى فدخلـها فى النصف الآخر من جمادى الثانية سنة ثلاث وسبعين ومائة، فأقام بقية الشهر بها، والنصف الأول من رجب.

ثم ظعن برسم غزو تلمسان، ولما وصل إليهـا أقام بظاهرها حتى أتاه أميرها محـمد بن خزر بن صولات المغـراوى الخزرى وطلب منه الأمان فـأمنه وبايعه هو ومن معه بتلمسان من قبائل زناتة وغيرهم، فدخل المدينة صلحا، وأمن أهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع فيه منبـرًا، وكتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عـبد الله بن حسن بن الحـسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم وعنا به.

فتم له الأمر ودانت له رقاب أهل المغرب، ونشر الإسلام فيه على يده، ولم يتفق هذا الفتح الباهر الباهض قبله لأحد حتى لعظماء القياصرة ذوى العدة والعدد والقوة والبأس الشديد، ورجع إلى وليلى وقد امـتدت إمارته ما بين نهر شلف إلى وادى نفيس. وقد وفد هذا الإمـام للقطر الإفريقى الوافر العمران المتـعدد الشعوب والقبائل واختلاف ألسنتـها وأديانها وأهوائها وآرائها وتمنعها وعصبيـتها، وهم أكثر من أن يحـصوا، قال ابن خلدون: وكـلهم بادية وأهل عصـائب وعشائر، وكـلما هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة.

والحال أن مولانا إدريس فى هذا الوطن غـريب (ناء عن الأهل صفر الكف منفردا) لا زاد ولا مال، ولا استعداد ولا عشيرة، ولا تقدم له معرفة بأحوال البلاد ولا يعلم لهم لسانا، ولا يعرف منهم إنسانا، ودولة بنى العباس فى عنفوان شبابها ذات سطوة قاهرة، وأساطيل متكاثرة وجيوش ذات قوة وبأس شديد، وكلمة نافذة

مسموعة، سوت بين الأحرار والعبيد، ولم تأل جهدا فى اقتفاء أثره والرغبة فى إلقاء القبض عليه، والبطش به حيثما وجد، وبالغت طاقتها فى الإغراء حتى سموه فى مشموم مسموم كما هو معلوم، فلم تقدر عليه، حماية وعناية من الله له، وأتاح له سبحانه من النصر والتمكين ما لم يعهد نظيره لأحد فى غابر الأزمان، فاستولى على كثير من بقاع المغرب، وبدّل لغة أهلها من البربرية إلى العربية ودياناتهم العديدة إلى التوحيد الحق، فأشرقت أنوار الإيمان بأرجاء قلوبهم، وفتح به فى أقرب مدة أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، وهدى به الملايين من الخلق وأنقذهم من ظلام الإلحاد والإشراك، إلى ضياء الحق، وآثروه على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشائرهم.

وقد غزاهم قبله من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا فلم يأخذهم رواؤه، ولا نجح فبهم دواؤه، إذ قد عاد وأبعده للثورة والردة حتى قال ابن خلدون نقلا عن ابن أبى زيد: ارتدت البرابر بالمغرب اثنتى عشر مرة ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده.

ويعجبنى هنا قول صديقنا العلامة الحافظ الشريف السيد المدنى بن الحسنى الرباطى من قصيدة[1] فى عظماء المغرب مما أملى فى حفلة مدرسية عام ١٣٤١هـ.

(١) فى هامش المطبوع مطلعها.

بنى قومى أفيقوا من منام ... وجدوا فى المعالى باهتمام ... فما نيل المعالى بالتوانى
ولكن بالعزيمة والنظام ... لقد كنا وكان العرب قدما ... هداة الخلق من سام وحام
أناروا الكون والأقطار طرا ... بهدى لاح فجرا فى ظلام ... وكنا حائزى قصبات سبق
بميدان المكارم فى الزحام ... لقد سادوا وساسوا الملك دهرا ... بمصر والعراق مع الشام
وأندلس ومغربنا وصين ... وسودان وهند باعتزام ... فسل فاسا وقرطبة ومصرا
تنبيك أو فسل دار السلام ... وسل غرناطة الحمرا وشاما ... وتونس حيث تونس بالمرام
وفاز الغرب.. إلخ.

وفـاز (الغـرب) بالـقـدح المعلى ... إذا اسـتـبق الجمـيع إلى السـهـام
فـ (طارق) قـد بدا علما تسـامى ... بحـد سنـانه وظبـا الحـسـام
قد اعتـرفت شعوب الأرض طرا ... بفـضل مـن مـآثره الجـسـام
وحـاز لسـان صـدق فى البـرايا ... تضـوع نشـره بعـد الرجـام
ألست تراه يـعـرض كل حـين ... أسـاطيل العـبـاد عـلى الدوام
و(موسى) قـد تسامى فى سـماء ... بنشـر العـدل فـينا والسـلام
وأحـيـا دارسـا (إدريس) لما ... بدا فـينـا كـتـاج فـوق هام
له فـضل عظيم ليس يحـصى ... علـى أبناء مـغـربنا العـظام
به الإسـلام قـر فى قـراه ... وأعطـتـه الـبـرابـر بالزمـام
وأتبـاع الهـداة علـى هداهم ... بميـزان لـهم بعـد الحـمـام
وسل سليـله (إدريس) سـيـفـا ... لإرغـام العـداة عـلى الرغـام
بنى (فـاسـا) فكان العلم فـيهـا ... ينـيـر لـنا دياجـيـر الـظلام
فكم حـبـر وكم بـحـر تسـامى ... ومـد عـبـابه كـالبـحـر طام
وإن (الجـامع القـروى) فـينا ... كنبـراس يضـىء لذى اعـتـصـام
به للـمـغـربى على سـواه ... فـخـار لا كـفـخـر بالـوسـام
جـمـيع مـدارس الدنيـا تبـدت ... مـتـابعـة كـتلو لـلإمـام
وقـد ضـربت له آبـاط إبل ... لشـيخ أو لكهـل أو غـلام
ومن آفـاق (أوروبا) خـصـوصـا ... بنى التـامـيـز من فـرط الغـرام
وراهب (رومـة) قـد رام فـيـه ... علوم الـكون من دون انتـقـام

أقـر بذا الجـحـود وليس يخـفى (هلال)[1] الأفق من تحت القـتام

وإن الحق مـــا شـهـــدت عـداه أقـر الخصم من بعـد الخصـام[2]

انتهى الغرض.

(١) فى هامش المطبوع: «جـاء فى مجلة (الهـلال) المصرية منذ ثلث قرن بتـاريخ عام ١٣١٥ آخر المجلد الأول (٥٠٨) أن «أقدم مدرسة كلية فى العـالم أُنشئت ليست فى أوروبا كما كان يظن بل فى إفريقيا فى مدينة (فاس) عاصـمة بلاد المغرب سابقا إذ تحققت بالشواهد التاريخية أن هذه المدرسـة كانت تدعى (كلية قيروان) وأسست فى الجـيل التاسع للميلاد وعليه فهى ليست فـقط أقدم كليات العالم بل هى الكلية الوحيدة التى كـانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية فى تلك الأزمنة حيث لم يكن سكان باريز وأكسفورد وبارو وبولونيا يعرفـون من الكليات إلا الاسم ولذلك كـانت الطلبة تتوارد إلـى كلية قيـروان من أنحاء أوروبا وإنكليز فضـلا عن بلاد الغرب الواسعة للانخـراط فى سلك طلابها وتلقى العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الطرابـلسيين والتونسيين والمصريين والأندلسيين وغيرهم. ومن جملة من تلقى علومه فى هذه الكلية من الأوروبيين (غربرنا) والبابا (سلفستر) وهو أول من أدخل إلى أوروبا الأعداد العربية وطريقة الأعـداد المألوفة بعد أن أتقنها جيدا فى الكلية المذكورة كما يظهر من رسالته إلى الإمبراطور أتون مساعده التى أتى فيها على ذكر الصفر بقوله إنى أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرة التى يزداد قيمة بوضع أعداد أخرى عن يساره ثم أبدى أسفه على حالتها الحاضرة ووصفه لما هى عليه الآن. أما قول الـعلامـة الأستاذ فـريد وجـدى فى كنز العلوم واللغة (٥٣٢) أن «الأزهر هـو أقدم مدرسة فى العالم، بعـد مدرسة بولونيا بإيطاليا» فهـو خلاف الواقع كما ترى من الكلام السابق. وهو مجد سامق (والـفضل للمتقدم) فإن القرويين بفاس بنتـه القانتة الصالحة أم البنين السيد فاطمة بنت محمد الفـهرى القيروانى يوم السبت فاتح رمضان سنة (٢٤٥) لما قدمت مع أبيها وإخوتها فى وفد القيروان على مولانا إدريس بانى فاس وأن الأزهر بمصر بناه القائد جوهر يوم السبت ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ فالقرويين أقدم من الأزهر بمائة سنة وأربعة عشر سنة.

(٢) تمامها:

و(يوسف) صاحب الحـمرا تبدى بأنـدلس إلـى رعى الـذمـــام

أجـاز إلـى الجـزيرة إذ دعـتـه طوائفـهـا فـأحـيـا كـالغـمـام

و(يعـقوب) ذو رباط الـفتح لهـا تمادى المعـتـدون فـى الانتـقـام =

= فكان جوابه ما قد رأوه من البطش القوى المستدام
وقد سالت بطاح الأرض طرا بنبال وسياف ورام
وصب على الأعادى فى البادى سياطا من عذاب كالضرام
ومد (أبو عنان) عنان عزم إلى العلياء مرفوع المقام
وفى وادى المخازن قد تراءى لنا (المنصور) يزأر كالهمام
و(إسماعيل) كم أبدى وأسدى وأهدى من مفاخره الفخام
فطنجة والعرائش فى ثغور بدت تفتر منه بابتسام
وما علماؤنا إلا معين معين نافع لكل ظامى
ففى الحمراء عياض حفيد سهيليهم بدور فى تمام
كذا القاضى أبو بكر بفاس تراءى لنا بعيدا عن ملام
وعباس بن فرناس تسامى وحلق فى الفضاء بلا مسامى
وإن الجوهرى سما بريش إلى العلياء معتدل القوام
فكونوا خلفهم خلفا حميدا يجدد ما تناثر من نظام
وكونوا مثلهم فضلا ومجدا فينجو الكل من موت زؤَام
«فليس تزال طائفة بغرب» بفضل الله قائمة السنام
كما جاء الحديث بذا صريحا عن المختار مولانا التهامى
فمسلم فى الصحيح روى فأضحى صحيحا عندنا دون اتهام
وكونوا فى خلائفكم كروض تأرج من غرار أو بشام
وقد بعث النبى لنا إماما لتتميم المكارم بالتمام
وفى شعب الإيمان غناء لمن يغنى بحل عن حرام
وإن حياءَنا منها فكونوا كعذراء الخدور من احتشام
وإن قواعد الإسلام منها كأركان البنا دون انهدام
فكونوا حافظين لها دواما وإلا فالجميع إلى انعدام
تحلوا من خصال الخير طرا بأخلاق حسان كالوئام
وإنصاف وحلم ثم صفح ونصح خالص بذل السلام
وإغضاء وصبر مع وفاء وإقلال الشراب مع الطعام
محبة كل ذى دين وعلم ومعرفة وهجران الطغام

ولا يعزب عن علمك أن مـولانا إدريس ممن جاء بعد ابن نصيـر وأنه وجد قبائله أى المغرب ذات عـقائد زائغة، وبدع فاشية، وأن استقـرار الإسلام فيهم إلى الحين الحالى إنما هو على يد هذا الفـاتح الأعظم، الذى هو أول قادم من آل البيت المطهرين من الرجس تطهـيرا لقطرنا المغربى، وذلك فضل عظيم يـعظم به مجده، ويطول به باعه، والمرء فى ميزانه اتباعه.

وهو من تابعى التابعين على الصحيح وقـيل من التابعين وعليه جرى بعض قدماء العلماء الذين مدحوه حيث قال:

زرهون أشرف ما فى الأرض من بقع ... إذ فـيـه قـبر عـظيم من ذوى الكرم
وذاك قـبـر الإمـام التـابعى الذى ... من آل بيت الـرسـول سـيـد الأمم
إدريس أفـضل خلق الله فـيـه إذا ... وهو الإمـام لهم فى الحـشـر والعلم

وضرب السكة بتدغة عام أربعة وسـبعين ومائة نقش فى وسط وجه منها لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وبدائرته باسم الله ضـرب هذا الدرهم بتدغة سنة

---

= وبر الـوالدين لـكم أكـيـد ... لتـربيـة لنا قـبل الفـطام
ذروا كل الـقـبـائح والدنـايا ... وأخـلاق قـبـاح مـن لئـام
ككبـر أو كـعـجب أو ككذب ... وبهـتـان وإكـثـار كـلام
وحـقـد غـيبـة حـسـد وهجـر ... وتطـبـيع الزمـان من المـنام
فـإن الوقـت فـينا سـيف قطع ... فـإن لم تقطـع جـاء بالفـصـام
دعـوا فـخـرا بما يفنـى ويبلى ... ولا يبـقى جـديدا كل عـام
فليس الفـخـر إلا لـذى علوم ... فـقـيـمـتـه بـه بين الأنام
فـجـدوا فى العلـوم بلا توان ... ولا ضـجـر كفـعل المسـتـهـام
وليس العـلم سـهـلا دون كـد ... ولـيـس يـنـال إلا لـذى دوام
وإنا نـسـأل المولـى حظـوظا ... توافـينا عـلى طرف الثـمـام
ونسـأله الـسـلامـة كل حين ... وتوفـيـقـا إلـى حـسن الخـتـام

١٧٤، ونقش فى وجه صورة هلال، ثم محمد رسول الله ﷺ، وتحت ذلك على ثم مما أمر به إدريس بن عبد الله: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا انتهى.

رأيت هذه السكة من فضة وزنها أكرمان اثنان وتسع وستون ٢، ٦٩- وعلى ذكر هذه السكة الإدريسية أذكر كلاما لصاحب «الدوحة المستكة فى أحكام دار السكة» ونص الغرض منه:

الفصل الأول فى أول من ضرب الدينار والدرهم قبل الإسلام وبعده وأول خليفة كتب اسم الله تبارك وتعالى وعين الأماكن لضربها وشدد فى تخليصها. قال القاضى أبو الحسن بن لبال فى شرحه «لمقامات الحريرى»: إن الناس فى أول الزمان كانوا يتبايعون بالعروض فيما بينهم كالحنطة والشعير والحبوب والفواكه وما أشبه ذلك، فشكوا إلى ملكهم ما ساءهم من ذلك وما يخافون من إتلاف أموالهم إن بقوا على هذه الحالة، فأمرهم أن يختاروا ما لا يفسد على مكث الزمان، فاختاروا حجر الذهب الذى هو أبقى جواهر الأرض، وكلما بقى تحت الأرض صلح وطاب، وكلما دخل النار تخلص وحسن، وأمر بضرب الدنانير وطبعها بطابع الملك، ونهى أن تفسد وأن يكسر طابعها، وأن من فعل ذلك تقطع يده يريد على سُنّتهم، وأخبروه أيضا أنهم يحتاجون إلى ما لا يفى ثمنه بقيمة الدينار بأقل منه أو من أجزائه مما لا بد لهم من مصلحة أنفسهم من شراء الحوائج، فأمرهم باختيار حجر آخر دون الذهب يكون قيمة الدينار منه عشرة دراهم، فاختاروا الفضة وضرب منها الدرهم، وطبعه بطابع الملك فكانت قيمة العشرين دينارا مائتى درهم.

ولم تزل الروم تستعمل الدنانير والفرس تستعمل الدراهم حتى جاء الإسلام فكان الناس يستعملون ذلك إلى زمن عبد الملك بن مروان، فضرب الدنانير والدراهم وكتب على الدنانير: الله أحد، وكانت قبل ذلك لا كتب عليها، وكتب على الدراهم كذلك.

وكانت الدراهم فى أيام الفرس مختلفة على ثلاثة أوزان، منها درهم على وزن المثقال عشرون قيراطا، ودرهم على وزن عشرة قراريط، فلما جاء الإسلام واحتيج إلى تقدير الزكاة أخذ الأوسط من جميع الأوزان الثلاثة وهى اثنان وأربعون قيراطا، فاتفقوا على أن يكون الدرهم على وزن أربعة عشر قيراطا من قراريط المثقال، والمثقال أربعة وعشرون قيراطا كل قيراط من ثلاث حبات، وأربعة وعشرون فى ثلاثة، اثنان وسبعون فهو من اثنين وسبعين حبة.

ومن البرى لوتيمة بسنده عن ابن عباس، قال: إن أول سكة وضعت فى الأرض الدنانير والدراهم وضعها ثمود بن كنعان، وكان الناس يتبايعون قبل ذلك بالتبر من الذهب والفضة، فلما ضربت الدراهم والدنانير نخر إبليس نخرة وقبض عليها فى يده وقبلها، وقال: استمسكت من بنى آدم، بكما يقطعون الأرحام ويسفكون الدماء ويظلم بعضهم بعضا.

وقيل: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما رأى اختلاف الدراهم نظر إلى أغلب ما يتعامل الناس فيه من أعلاها وأدناها، فجعل منها اثنى عشر دانقا، وأخذ نصفها فكانت ستة دوانق، فمتى زدت على الدرهم ثلاثة أسباعه كان مثقالا، ومتى نقصت من المثقال ثلاثة أسباعه كان درهمًا.

وكان الفرس عند فساد أمورهم قد فسدت نقودهم، والنقد هو الخالص من الذهب والفضة، فاتسع فيه حين جعل المعجل من كل مدفوع نقدًا من كل شىء فميز المغشوش من الخالص.

وقد اختلف فى أول من ضربها فى الإسلام، فقيل: عبد الملك بن مروان وكانت حينئذ الدنانير من ضرب الروم، والدراهم من ضرب الفرس كسرى وحمير، وكانت قليلة فأمر عبدُ الملك بن مروان الحَجَّاجَ بضربها سنة أربع وسبعين من الهجرة، وقيل خمس وسبعين، وكتب عليها: الله أحد الله الصمد.

ثم ولى ابن هبيرة فى أيام يزيد بن عبد الملك فضربها أجود مما كانت، وشدد فى تجويدها، ثم ضربهـا بعده يوسف بن عمر فأفرط فى تجويدها فـكانت الهبيرية والخالدية واليـوسفـية أجود دراهم بنـى أمية، وكـان المنصور لا يأخـذ فى الخراج غيرها.

وقيل: إن أول من ضربها مصعب بن الزبيـر عن أمر عبد الله بن الزبير سنة سبعين على ضرب الأكاسرة، وعليـها بركة من جانب والله من جانب، ثم غيرها الحَجّاج وكتب عليها بسم الله فى وجه، وفى وجه الحَجّاج. انتهى.

وقـال: أول من ضـرب السكة المركنة أبو عـبـد الله المهـدى القـائم بأمـر الموحدين، وكانت الدراهم قـبل ظهور الدولة الموحدية كلها مدورة، فـأمر المهدى وعهد إلى خليـفته عبد المؤمن أن تكون دراهمه مـركنة فكانت كذلك إلى أن قال: وكان بمدينتى فـاس القرويين والأندلسيـين دار سكة فنقلهمـا الخليفة أبو عـبد الله الناصر بن المنصور الموحدى إلى دار أعدها بقصبـتها حين بناها سنة ستمائة، وأعد بها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها وغالبا ما كان يسبك به الذهب.

**تنبيه**: ما قدمـته من أن مولانا إدريس هو أول آل البيت دخـولا للمغرب به صرح غير واحـد وأطلق، ولا إشكال فى كونه كذلك بالنسبة للمـغرب الأقصى، وأما غيره فـقد وقع فى «حجة المنذرين» أنه سبقـه إلى دخول المغرب الأدنى أخوه سليمان هـ.

أقول: ويرده قول ابن خلدون: وأما سليمـان أخو إدريس الأكبر فإنه فر إلى المغرب أيام العباسيين فلحق بجهات تاهرت بعد مهلك أخيه إدريس. انتهى.

وقال قبل هذا ولحق به - يعنى الإمام إدريس الأكـبر - من إخوته سليمان، ونزل بأرض زناتة من تلمسان ونواحيها، ونذكر خبره فيما بعد. انتهى.

يشير إلى ما قدمنا بعضه عنه آنفا ونحوه لابن أبى زرع، وهو صريح فى أن دخول مولاى سليمان للمغرب متأخر عن دخول شقيقه المترجم، لكن ينافى ذلك ما أسلفناه عن ابن جرير والمسعودى وغيرهما من كون المولى سليمان كان من جملة قتلى فَخّ، ومثله نقله الحلبى عن سبط ابن الجوزى، ويوافقه ما نقله الحلبى أيضا عن ابن حزم ومصعب، من أن الذى أتى تلمسان هو ابن سليمان محمد لا أبوه سليمان، وكذا ما نقله عن «بحر الأنساب» من أن محمد بن سليمان هو الذى خرج مع عمه المترجم إلى تلمسان. فدخول سليمان إلى المغرب مختلف فيه، قال الحلبى: والصحيح دخوله إياه لاتفاق مؤرخى المغرب عليه كالتنسى، وابن خلدون، وابن أبى زرع، وصاحب المسالك، ونقل عن النوفلى ذلك أيضا وهو محقق فى التاريخ. انتهى.

قلت: أما ابن خلدون وابن أبى زرع فكلاهما صريح فى أن دخول سليمان للمغرب متأخر عن دخول أخيه الإمام إدريس، فلا شاهد فيه لمن ادعى الأولية لسليمان وإن كان شاهدًا لأصل الدخول، وأما كلام المسالك فقد وقفنا عليه فى أصله فوجدناه صريحا فيما قصده الحلبى من أصل الدخول محتملا للتأخر والتقدم، وهو فى الأول أظهر واعتماده فى ذلك على كلام النوفلى لنقله له واقتصاره عليه فى ترجمة مدينة فاس، ومن جملة ما اقتصر عليه فى هذه الترجمة أن سليمان نزل مدينة تلمسان مع أنه فيما قدمه فى ترجمة تلمسان اقتصر على قوله: نزلها محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن. انتهى. فاقتصر على أن النازل بها هو ولده محمد وبه يسقط احتجاج «الدر النفيس» بما فى المسالك.

وفى «العرف العاطر» لأبى محمد عبد السلام القادرى جد صاحب «النشر» ما نصه: بويع له - أى لسليمان - بتلمسان فيما قيل، ثم قال: وقال مصعب: إن سليمان المذكور قتل بفخّ، قال: وكان ولده محمد خرج إلى المغرب، ومصعب أعرف بهذا الشأن من غيره إذ كان معاصرًا له ومن أهل أرضه وبلاده ونحوه لابن حزم والأزورقانى. انتهى.

وبطرته بخط صاحب النشر ما صورته ما حكاه بقيل من أن سليمان بن عبد الله دخل المغـرب ونزل بتلمسان هو الذى عند التنـسى فى نظم الدر والعقـيان، وابن خلدون فى كـتاب العـبر، وابن أبى زرع فى الأنيس وأبى عـبيـد البكرى فى المسالك.

قلت: التنسى تابع لابن خلدون، فإن كل ما فى كـتابه مأخوذ منه إلا أنه لا يسـميـه، وابن خلدون تابـع لصاحب الأنيـس فكثيـرا مـا ينقل عنه ويصـرح به ويعتمـده، وصاحب الأنيس تابع لصاحب المسالك فكثـيراً أيضا ما يعـتمده وينقل عنه، وصاحب المسالك نقله عن النوفلى عن عيسـى بن حيون قاضى أرشقول ولم نعثر على من قال إن هذا كان من الحفاظ فالصحيح المعتمد أن الداخل للمغرب هو محمد بن سليمان كما قاله الحفاظ الثلاثة النسابون: مصعب الزبيرى، وابن حزم، والأزورقانى. انتـهى، من خط عم والدنا. انتهى، ما وجدته بخط صـاحب النشر طرة المحل المذكور من كتابه المذكور.

وقد رام فى «حـجة المنذريـن» الجمع بين الخـلاف فى هذا المقام فـقال: إن دخول مولاى سليمان المغرب كان صدر القرن الثانى فراراً من أبى جعفر المنصور، ثم استخلف ولده فى عين الحوت ورجع للحجـاز لأخذ الثأر زمن الهادى العباسى فاسـتشهـد فى وقعة فخ، ومن قـال: إن مولانا إدريس أول داخل للمـغرب يعنى المغرب الداخلى الأوسط فـلا ينافى تقدم دخول عمه إلى المـغرب الأدنى. انتهى. وعليه ملاحظات:

الأولى: أن هذا الجمع لا يتأتى على قـول ابن خلدون ومن وافقه إن دخوله للمغـرب متأخـر عن دخول شقـيقه الإمـام إدريس، ولا على قول مـصعب وابن حزم، وابن جرير، والمسعودى ومن وافقهم أنه لم يدخله أصلا.

الثانية: أن قوله تقدم دخول عمه سهو وصوابه أخيه.

الثالثة: أن جعله تلمسان وما حوله من المغرب الأدنى خطأ بل ذلك عندهم من المغرب الأوسط، بل تلمسان هى قاعدته كما فى «جنى زهر الآس» و«الدر النفيس» وأصله لابن خلدون وغيره، وقد قدمنا ما بين ابن خلدون وغيره من الخلاف فى تفسير المغارب.

وفاته: اختلفوا فى سنة وفاته، فقيل: سنة خمس وسبعين ومائة، وعليه جرى النوفلى، وابن خلدون، والبكرى، والتنسى، والجزنائى، وابن قنفذ وهو المرقوم فى المشهد الإدريسى، وقيل: سنة ست وسبعين ومائة وبه صدر فى «الجذوة» ولم نره لغيره، وقيل سنة سبع وسبعين ومائة وعليه اقتصر ابن أبى زرع والحلبى وغيرهما.

واختلفوا أيضا فى شهر ويوم وفاته فقيل: فاتح ربيع الأول وعليه اقتصر فى «الدر النفيس» ولم نره لغيره، وقيل: منسلخه وعليه اقتصر فى «الجذوة» وقيل مفتتح ربيع الثانى وعليه اقتصر ابن أبى زرع ونحوه للكلبى فى «الأنور» وقيل منسلخه وعليه اقتصر البكرى والجزنائى.

وعلى ذلك انبنى قدر مدة الخلافة لهذا الإمام فعلى أن البيعة فى سابع ربيع الأول والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى من عام سبعة وسبعين، وهذا أقصى الأقاويل المتقدمة تكون مدة الخلافة خمس سنين وأربعا وخمسين يوما.

وعلى أن البيعة فى أول رمضان، والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة رابع عشر رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة سبع وسبعين، تكون المدة أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أو ستة عشر يوما، فالأول على كمال شهر البيعة، والثانى على نقصانه.

وعلى أن البيعة سابع ربيع الأول والوفاة منسلخ ربيع الثانى سنة خمس وسبعين تكون المدة ثلاث سنين وشهرين اثنين عدا ستة أيام.

وعلى أن الوفاة فى متم ربيع الأول من سنة خمس وسبعين والبيعة سابع ربيع الأول، تكون المدة ثلاث سنين عدا خمسة أو ستة أيام.

وعلى أن البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الثانى عام خمسة وسبعين، تكون المدة سنتين اثنين وثمانية أشهر.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الثانى سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر ويوما واحدًا، وإن كانت البيعة فاتح رمضان والوفاة منسلخ ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وسبعة أشهر لا غير.

وعلى أن البيعة فيما ذكر والوفاة فاتح ربيع الأول سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين اثنتين وستة أشهر ويوما واحدا.

وعلى أن البيعة فى رابع عشر رمضان والوفاة فى منسلخ ربيع الثانى سنة خمس وسبعين، تكون المدة سنتين وسبعة أشهر، وستة أو سبعة عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الثانى والموضوع بحاله كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وسبعة أو وثمانية عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فى منسلخ ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وستة أشهر وستة أو سبعة عشر يوما.

فإن كانت الوفاة فاتح ربيع الأول والموضوع بحاله، كانت المدة سنتين اثنتين وخمسة أشهر وثمانية أو سبعة عشر يوما.

فهذه تفاصيل المدة التى انبنت على الخلاف فى تاريخى البيعة والوفاة وقد علمت أن أقصاها خمس سنين وأربعة وخمسون يوما، ومنه يعلم أن ما وقع فى «الجذوة» و«الدر النفيس» من أن المدة خمس سنين وسبعة أشهر، إنما هو غلط

محض مخـالف للأقوال كلها، وقد نبه على غلطهـما فى «سلوة الأنفاس» وإن لم يستوعب ما فصلناه.

**٨٨ - إدريس المعروف بإدريس الأنور والأزهر والتاج والمثنى.**

بانى فاس ودفينها رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: كـان إماما راوية عـارفا بأحكام السنة والكتـاب، واقفا عند حـدهما مؤتمرًا بأوامرها، منزجرًا بزواجرها، قائما بحدود الله لا تأخذه فى الله لومة لائم، غضـبه فى الله ولله ورضاه كذلك، أمَّـارًا بالمعروف نهَّاءً عن المنكر، ورعـا جوادا كريما شهـما صنديدا، سياسيا ماهرا مـقتدرا، فصيحا بليـغا، ناظما ناثرا ذا عقل راجح وحلم واسع، وإقدام فـى مهمـات الأمور وحزم وصـرامة، يباشـر الحروب بنفسـه، ويبلى البلاء الحـسن، مع ثبات جنان ورسـوخ قدم، وطلاقة وجـه وبشر وارتياح عند لقاء العدو وفى ميادين القتال وخصوصا إذا حمى الوطيس.

بويع له وهو ابن إحدى عشرة سنة، وذلك يوم الجـمعة غرة ربيع الأول سنة ثمانية وثمانـين ومائة، وقيل سابع ربيع الأول. قيل الذى أخذ له البـيعة هو راشد مولى والده وكافله ومربيـه، وقيل: مات راشد قبل أخذ البـيعة له، والذى أخذ له البيعة هو أبو خالد يزيد بن إلياس العبدى.

ولما بويع له صعد المنبر وخطب الناس، فقال: الحـمد لله، أحمده وأستعين به وأستغفره وأتوكل عليه وأعوذ بالله من شر نفسى ومن شر كل ذى شر، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله أرسله إلى الثقلين بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًـا منيرًا، ﷺ وعلى آل بيتـه الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا.

أيهـا الناس، إنا قد ولينا هذا الأمـر الذى يضاعف للمـحسنـين فيـه الأجر وللمسىء الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل، فلا تمدوا الأعناق إلى غيرنا،

---

٨٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ١٦٠.

فإن ما تطلبونه مـن إقامة الحق إنما تجدوه عندنا، ثم دعا الناس إلى بيعـته وحضهم على التمسك بطاعته، فتعجب الناس من فـصاحته ونبله وقوة جأشه وثبوت جنانه على صغر سنه، ثم نزل فسارع الناس إلى بيعتـه وازدحموا عليه يقبلون يديه فبايعه كافة قبائل المغرب، من زناتة وأوروبة وصنهاجة وغـمارة وسائر قبائل البربر فتمت له البيعـة وتوطد له الملك وقويت جنوده وعظم سلطانه وأشياعـه، وصارت الوفود تنسل إليـه من كل حـدب، وقـصد الناس إلـيه من كل مـكان من بلاد إفريـقيـة والأندلس، فسر بذلك سرورا زائدًا وأكرم وفادتهم واصطفاهم وقربهم إليه، وركن إليهم.

فمن الوافدين عليه: عمير بن مصعب، وعـامر بن محمد بن سعيد القيسى الفقيه الورع وأبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجى، وداود بن القاسم بن إسحاق ابن عبد اللـه بن جعفر بن أبى طالب اسـتوزر الأول واستقضى الثـانى واستكتب الثالث وقرب الرابع من دسته وخالطه بنفسه واصطفاه لأنسه.

ثم لما تبحر استعمار الوافـدين عليه من المشارق والمغارب وضاقت بهم مدينة وليلى اشتـرى مواضع أرض فـاس من ملاكهـا بستة آلاف درهم ودفع لـهم الثمن وأشهد عليهم بذلك، وشرع فى بناء المديـنة يوم الخميس غرة ربيع الأول عام اثنين وتسعين ومائة، قيل: كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة والبنائين تواضعا منه لله تعالـى ورجاء الأجر والثـواب. أسس أولا عدوة الأندلس وسـورها، وبعدها بسنة أسـست عدوة القـرويين، ولما فرغ من بـناء المدينة انتقل إليـها واسـتوطنهـا واتخذها دار ملكه ومقر كرسى إمارته.

وفى سنة سبع وتسعين ومـائة خرج لتمهيد البلاد ومـحو آثار دعوة الخوارج من الصفرية ومذهب الواصلية الذى كان سائدا ومنتشرا، فوصل إلى سوس واحتل مدينة نفيس ودخل فى حـزبه قبائل المصامدة وحارب قبـائل برغواطة أهل تامسنا، ثم عقد معهم الصلح ورجع لفاس.

وفى سنة تسع وتسعين ومائة خـرج لتمهيد البلاد الشرقيـة فدخل تلمسان، وخضع لإمامته ملوك بنى خزرج من مغراوة واعترفوا بإمامته، وأقام بتلمسان ثلاثة أعوام فنظر فى أحوالها وأصلح أسوارها وجامـعها وصنع فيها منبرًا، ثم رجع إلى مدينة فاس فلم يزل بها إلى أن توفى.

مشيخته: أخـذ عن مولاه راشد، وعامر بن محمد بن سعيـد القيسى الفقيه الصالح الورع، سمـع من مالك، وسفيان الثـورى، وروى عنهما كثـيرا أخذ عنه موطأ مالك وأخذ عن غيرهما.

شعره: من ذلك قوله رضى الله عنه فـيما رواه عنه أبو هاشم داود بن قاسم الجعفرى:

لو مد صـبرى بصبـر الناس كلهم ... لكل فى روعتى أو ضل فى جزعى

بَانَ الأحـبة فـاستـبدلت بعـدهم ... همًّا مقـيما وشمـلا غير مجـتمع

كأننـى حين يجرى الهـم ذكرهم ... على ضمـيرى مجبـول على الفزع

تأوى همومى إذا حـركت ذكرهم ... إلى جـوانح جـسم دائم الـهلع

وقوله:

أبهلول[1] قد شممت نفسك خطة ... تبـدلت منـهـا عـولة[2] برشـاد

أضلـك إبراهيم مـن بعـد داره ... فـأصـبحـت منقـادا بغيـر قـيـاد

كـأنك لم تسمع بكيـد ابن أغلب ... غـدا آخـذا بالسـيـف كل بلاد

ومن دون ما مـنتك نفسك خـاليا ... ومناك إبـراهيم شـوك قـتـاد

(١) فى هامش المطبوع: «بهلول هذا هو داعـية الخوارج وعالمهم كـان ممن بايع مولاى إدريس والد المترجم».

(٢) فى هامش المطبوع: «أى جورا وميلا عن الحق».

ولادته: ولد بمدينة وليلى يوم الاثنين ثالث رجب الفرد سنة سبع وسبعين - بتقديم الموحدة على العين فيهما - ومائة وقيل سنة خمس وسبعين والخلاف فى ولادته مبنى على الخلاف السابق فى وفاة أبيه إذ لا خلاف أن أباه تركه حملا وأن مدة حمله لم تتجاوز القدر المعتاد.

وفاته: توفى سنة ثلاث عشرة ومائتين وهو ابن ست وثلاثين سنة وقيل توفى ليلة اثنى عشر من جمادى الأخيرة عام ثلاثة عشر ومائتين وسنه ثمان وثلاثون سنة وسبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات من حينه ودفن حيث قبره الآن من الحضرة الفاسية.

**٨٩ - إدريس بن السلطان العادل المولى سليمان بن السلطان سيدى محمد ابن السلطان المولى عبد الله بن فخر ملوك سلاطين المغرب المولى إسماعيل.**

حاله: فقيه علامة عامل مطلع له فى الحديث القدم الراسخ، وفيه وفى غيره من سائر الفنون اليد الطولى، ناسك ذاكر، ذو هيبة ووقار، وجلالة فى أعين الخواص والعوام، ذو أخلاق جميلة، وأفعال حميدة، وسجايا كريمة، واسطة عقد الصدور كثير التلاوة والأذكار. وكان يدرس العلوم بداره ومن عادته أنه يحضر أوانى الأَتاى[1] وقت درسه وإذا رأى من الطلبة مللا أو سوء فهم أمر خادمه بمناولتهم كئوس الأَتاى حتى تتشحذ أذهانهم وينتفى مللهم، ثم يعود للدرس وكان يطيل دروسه.

مشيخته: أخذ عن والده «الورد الناصرى» و«دلائل الخيرات» بما معه من الأحزاب، وهو أخذه عن والده السلطان سيدى محمد بن عبد الله بمكناسة الزيتون عام ستة وتسعين ومائة وألف، وناوله إياه بالمسجد الأزهر المعروف اليوم بجامع

(١) فى تذكرة المحسنين فى الموسوعة ٧/ ٢٤٤٣ ترجمة: محمد بن عبد الله العلوى ت سنة ١٢٠٤هـ: «وفى أيامه أظهر الله بالمغرب عُشْبَةَ الأَتاى المشروب بسائر أقطاره، وهو من خصائص صاحب الترجمة وأثره...».

الأروى كما رواه عن غيره، وأخذ عن شيـوخ العلم الذين كانوا بالحضرة المكناسية فى الدولة السليمانية لا تحضرنى الآن أسماؤهم.

الآخذون عنه: منهم الفقيه العدل السيد أحمد المدعو قرورو بن إدريس أجانا المترجم بعد صاحب الترجمة، والحاج محمد زغبوش، رحم الله الجميع بفضله.

وفاته: حدثنى بعض العدول المبرزين العلماء الموثوق بأمانتهم أنه حدثه الولى الصلح، سيـدى العربى بن السـائح، بأنه كانت بينه وبين المتـرجم وصلة وصالح أخوة ومحبة زائدة، حتى إنه كان لا يمر عليهما يوم لا يجتمعان فيه ولو بباب دار المترجم يتذاكرون فى المسائل العلمية والمعـارف الذوقية، وأنه كان ظهر يوم خميس جالسا مع صـاحب الترجمة بباب داره يتـحدثان فيما حل بـأهل مكناس من كثرة الموت ويأسفان على كثرة من أصيب بذلك الحادث الجلل، وإذا بالمترجم التفت إليه وقال: لعلنى يا سيدى العربى من زمام من يصاب بهذا الواقع، غير أننى أسأل الله أن أكون سبب الفرج عن أهل البلد واللطف بهم، قال: ثم بقينا بعد ذلك نتحدث حتى حان وقت العصر فودعته وذهبت لدارى.

ومن غده بلغنى بعد صلاة الجـمعة نعيه فرعبت وفـزعت لداره لأتيقن الخبر فوجدت أهله فى تجهيز جنازته، ولما سألت عن كـيفية الواقع أخبرت أنه بعد فراقنا دخل لداره وتوضأ وصلى العصر ثم توجه بصـحبة ولده المولى سرور لزيارة الشيخ محمـد بن عيسى الفـهدى، وبعد الزيارة طلب من مقـدم الضريح إحضـار أعيان أولاد الشيخ إليه، فلما حـضروا واجتمعوا جميعـا بداخل قبة الضريح طلب منهم موضعا لإقباره داخل الضريح فأجـابوه بعد تردد جميعا لذلك، ولما تم الأمر بينهم وجه ولده المذكور للإتيان له بالثمن الذى وقع الـتراضى عليه فأتاه به وسلمه لهم، وعين المحـل الذى اختاره لنـفسه قـرب الدربوز على يمين الـداخل لقبة الـضريح المذكـور، ثم رجع لداره قرب المغـرب وبعد صـلاة العشـاء الأخيـرة نزل به ذلك

الحادث، ولم يزل الأمر يشتد إلى أن ختمت أنفاسه عند أذان المؤذن الأول زوال يوم الجمعة أوائل شعبان عام واحد وسبعين ومائتين وألف.

قال سيدى العربى رضى الله عنه: فازددنا يقينا بأنه ممن له عند الله منزلة كاملة، وأنه كوشف بما يحل به وقد حقق الله رجاءه فى اللطف بعباده، فكان رحمه الله خاتمة المصابين بذلك الحادث.

**٩٠ - إدريس بن العلامة السيد التهامى أجانا.**

حاله: فقيه علامة خاشع متواضع زاهد ناسك ورع، كان يدرس فى المسجد والقضيب بيده، ولا يدرس التوحيد إلا فى محل خاص مستترا عن العوام، وتخرج على يديه طلبة كثيرون، وكان يؤدب الصبيان احتسابا لله تعالى، ورحل إلى الحج راجلا على ما أخبرنى به من وثقت بخبره من أهل العدل، ودخل مصر وقرأ بها.

وكان يذهب كل يوم أربعاء وخميس لسجن بلاده المكناسية ومرستانها يخدم المساجين والمعتوهين ويقضى حوائجهم بنفسه، ويقول: لى فى ذلك فائدتان: وعظ نفسى، وتعريفها بنعم الله عليها ومعافاتها مما ابتلى به كثير من الخلق من السجن والقيود والأغلال وغير ذلك كى تنزجر وترتدع وتقبل بكليتها على شكر المنعم وحمده.

جعل كفنه بصدر بيته يشاهده ويعتبر ويتذكر به كلما دخل وخرج.

وله أحوال كثيرة من هذا النوع، وكان يخيط أكفان الموتى ويباشر غسلهم ويحترف بتسفير الكتب وإصلاح المبتور منها ويبيعها ويتعيش بثمنها.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه الوزير الفقيه السيد موسى بن أحمد، وأخوه السيد عبد الله عامل فاس وزَرْهُون، والسيد عبد السلام بن محمد بن الحاج

التهامى بن عـبود، والسيد أحمد بن عمـر الصوفى المتقدم الذكر، والفـقيه العدل السيد محمد بن سـميه فرموج، والفقيه السيد أحـمد بصرى المترجم قبل ومن فى طبقتهم.

شعره: من ذلك قـوله ومن خطه نقلت: جمع كاتبه سامـحه الله بمنه كتب صحيح البخارى على ترتيـبهم بصورة المخاطبة لغيره وأمره بما تضمنتـه معانيها فى هذه الأبيات وهى:

إذا رمت يا ذا الفـضل عزا وأن ترى ... أخا شـرف فى الناس للحق مبـصرا

تحل بـإيمـــان وعـلم تســـد به ... وكن بوضـــوء واغـتـسـال مـطهـرا

ولا تقـرب الحـيض الخسـيس فـإنه ... أذى وتيـــمم لـلصـــلاة مـبـــادرا

لدى وقت أد جـمـعـــة ثم عـجلن ... وصل صـلاة العـيـــد والوتر أخـرا

ومـد للاسـتـسـقـــا يدى مـتـذلل ... وكن فى كـسـوف لـلركـوع مكررا

وإياك أن تـلغى ســـجـــود تلاوة ... وفى السفـر المرضى صلاتك قـصرا

وعند هجـوع الناس كن مـتـهجـدا ... وعجل سجود السهو إن صرت ذاكرا

ومـهـما مـررت بالجنـائز فاعـتـبـر ... وأد زكـــاة المال والفـطر صـــابرا

وإن كنت مـسطاعـا فـبادر بحـجـة ... وزد عمـرة واحلل إذا كنت محـصرا

ولا تؤذين صـيدا إذا كنت مـحرمـا ... وأد جـــزاء إن فـــعلت لتطـهـــرا

وكن عـارفا فـضل المدينة واجـتهـد ... بصـوم فـإن الصـوم لـلنفس قـاهرا

وفى شـهـره قم للـتـراويح واطلبن ... بآخـــر ذاك لـيلة القـــدر ســـاهرا

ولا تك فـــيـه لاعـــتكافك تاركـــا ... وإياك عند الـبـيع تفـــعل مـــحظرا

وإن كنت مـسلما وإن كنت شـافعـا ... لشـخص فكن بالحـق للحق ناصـرا



openkanar.com

وكن للأجير فى الإجارة مرضيا ... ولا تلزمنه بالحوالة مجبرا
وإياك والتوكيل فى الحرث واشربن ... زلالا والاستقراض عجله للورى
ودع عنك يا ذا الفضل كل خصومة ... ملازمة والقط إذا كن مشهرا
ولا تقربن نحو المظالم والزمن ... لدى شركة حكما لها قد تقررا
وإن حزت رهنا كنت فيه مخصصا ... وعجل بعتق للرقاب محررا
وفى هبة اشهد وصالح بشرطه ... وأوص بخير المال إن صرت محضرا
وجاهد عدو الله حق جهاده ... وفى بدء هذا الخلق كن متفكرا
وكن بجميع الأنبياء مصدقا ... وصحب رسول الله فضل على الورى
هم حضروا معه المغازى وقد شروا ... نفوسهم لله حقا بلا امترا
وواظب على التفسير للذكر واعرفن ... فضائله إن كنت للرشد مبصرا
ونفسك هذب بالنكاح وجانبن ... طلاقا وللإنفاق للأهل كثرا
وأطعم صديقا من عقيقتك التى ... ذبحت وكن للصيد بالحل عاقرا
ومن طيب الأموال قرب ضحية ... ولا تشربن يوما نبيذا مغيرا
ومهما مرضت فانبذ الطب لابسا ... حِلَى أدب واضرع لمولاك صابرا
وذا البيت فاستأذن ولا تك ملغيا ... دعاء وخوف بالزمان وذكرا
وبالقدر المقدور ويحك صدقن ... ولا تك للأيمان والنذر مكثرا
وكفر يمينا إن حنثت وصححن ... فرائض وأقسمها بعلم وحررا
وإذ ما حدود قد أقيمت فسلمن ... ولا تك يوما للمحارب ناصرا
وعن سبب الديات نفسك باعدن ... وذا ردة إن تاب بالفوز بشرا

ولا تكرهن شخصا على فعل زلة ودع حيلا إن كنت يوما مخبرا
وعن فتن كن قاعدا متقاعدا وعن خطة الأحكام نفسك أخرا
ولا تكثرن قول التمنى وصدقن لقول امرئ فرد إذا كان مخبرا
ومعتصما كن بالكتاب وسنة ومن كلمة التوحيد قلبك عمرا
وكثر على خير الأنام محمد صلاة وتسليما وعظم ووقرا
عليه صلاة الله ثم سلامه على عد ما أملى من الوحى للورى
وآله طرا والصحابة كلهم ولله ربى الحمد بدءا وآخرا

قلت: قد أبدع رحمه الله فى الصنيع، وبرهن على أنه لا معرفة له بعلم القافية والكمال لله.

وفاته: توفى أوائل دولة سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن هشام على ما أخبرنى به بعضهم، وقد كان عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف حيا يرزق، وضريحه بروضة سبعين لحية بين ضريحى المولى عبد الله بن حمد والسيد أحمد الحارثى، برد الله ثراه بمنه.

**٩١ - إدريس بن الطيب بن محمد بن حم بن إدريس بن أحمد بن عبد الواحد - يدعى وحود - بن محمد بن قاسم بن عبد الواحد بن على منون الشريف الحسنى.**

شيخ الجماعة بالحضرة المكناسية.

حاله: علاَّمة مشارك متفنن نقاد، مقرئ أستاذ مجوّد، له اليد الطولى والمهارة الكاملة فى علم الأوفاق وسر الحرف، كان يؤدب الصبيان على عهد والده، ثم تصدر للشهادة بسماط عدول العاصمة، وقفت على عقد إشهاد له بخط يده بتاريخ سابع عشرى ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائتين وألف.

ثم انتخب للإمامة بمسجد القصبة الإمامية المعروف اليوم بجامع القصبة فكان الإمام الراتب به، ثم أخر عنها، وولى مكانه سيدنا الجد المولى على بن محمد بن عبد الملك بن زيدان، وسبب ذلك أن السلطان العادل مولانا سليمان جاء يوما للمسجد المذكور بقصد أداء فرضه جماعة فيه، فاتفق أن الإمام الراتب تخلف لعذر وكان الجد المذكور من الملازمين المواظبين على الجماعة، فأمر مولانا سليمان بإقامة الصلاة على الجد وأمره بالتقدم فامتثل وأم، ومن ذلك الوقت صيره الإمام الراتب به، ثم لما علم المترجم بالواقع أبدى أعذارا مقبولة أباحت له التخلف، فعين إماما راتبا بالضريح الإسماعيلى، رحم الله الجميع بمنه.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن العباس آتى الترجمة فى المحمدين فى جماعة، ولم أقف على وفاته.

**٩٢ - إدريس بن الطيب بن اليمانى بن أحمد بو عشرين.**

حاله: من بيت علم وديانة وفضل وصيانة، قال فى «خمائل الورد والنسرين»: إن بنى العشرين من الخلف الصالح الأنصارى الذين ظهروا بأرض المغرب وشاع فضلهم وظهرت آثارهم من الخير والصلاح وشعائر الدين ونشر العلوم الشرعية، قال: والذى تحقق عندنا فى أول استقرارهم بالديار المغربية أن انتقالهم لهذه العدوة كان من عدوة الأندلس، وأن أولهم الذى خرج من الأندلس هو أبو الحجاج يوسف البياسى، وكان من سادات زمانه علما ودينا وضخامة قدر وجلالة جاه، قال: والذى رويناه عن بعض الأثبات الثقات المعمرين الأخباريين من أهل مكناسة وذكرته للشيخ العلامة الكاتب سيدى اليمانى رحمه الله فى حكاية ذكرتها فى «الجيش العرمرم» فلما عرضت عليه ذلك الذى نذكره الآن أقره وصدق الذى حكاه لى، والذى حدث به ذلك المحدث المذكور، هو أن انتقالهم كان من تونس إلى تلمسان، ثم إلى فاس، ثم إلى سلا، ثم إلى جبال الزبيب، ثم إلى مكناس، فلما ذكرت ذلك للفقيه المرحوم سيدى اليمنى، قال: ذلك صحيح، إلا

أن الذى أعرفـه أن الانتقـال من تونس إنما كان إلى فـاس لا إلى تلمسـان ثم إلى فاس. انتهى. وقد زيف ما يخالف هذا مما قاله صاحب وفيات الأعيان فى ترجمة البياسى.

وكان المترجم فقيها أديبا كاتبا مجيـدا وجيها استوزره السلطان سيدى محمد ابن عبد الرحمن بعد وفاة والده السيد الطيب صبيحة يوم السبت تاسع عشر شعبان عام ست وثمانين ومائتين وألف وذلك بالحضرة المراكـشية، فقام بأعباء الوزارة أتم قيام مع الجد والحزم والنصح فى الأعمال والإخلاص لجانب الأمير والمأمور.

وقد كـان رحل إلى الحج قيد حيـاة والده، وذلك عام تسع - بتقـديم التاء على السين وسبعين بتقديم السين على الموحدة - ومائتين وألف فأدى فريضة الحج وزار قبر خير الأنام، وتاقت نفسه للجـوار فاشترى داره الشهيرة بالمدينة المنورة، ثم آب للديار المغربية، ثم أعاد الرحلة إلى الحج فاتح عام أربعة وتسعين بأهله وذويه، وأقام بمكة إلى فـاتح عام سبعـة وتسعين، وفـيه رحل لطيبـة الطيبة بقصـد الجوار فطاب له بها المثوى والقرار.

وفى فاتح اثنين وثلاثمائة وألف دخل مصر والآستانة العظمى لمعالجة أَلَمٍ أَلَمَّ به فلقى من السلطان عبد الحميد ورجال دولته تكرمة وإجلالاً، ثم عاد إلى المدينة.

ثم فى فاتح سنة ثلاث وثلاثمائة وألف رجـع إلى الديار المغربية لصلة رحم قرابته وقـضاء بعض مهماته، فـوجد السلطان بالثغر الرباطى فـأجله واعتنى بشأنه ورافق جنابه العلى إلى الحضرة المكناسية، فـراوده وألح عليه فى المقام على وَظِيفِهِ فاعتذر واستـعفى وأبى إلا العود لجوار المصطفى، فساعده الإسـعاد بالمساعدة وعاد لمدينة خير رسول معرضا عن كل ما يثـبطه ويلهيه، وأقبل على عبادة ربه حتى أتاه اليقين.

شعره: من ذلك قوله مؤرخًا تمام بناء روضة الأنيق بالمدينة المنورة

بـالله والجـــــار طـه حل الـهنـا والتـــــدانـى

والفـــوز دنيـــا وأخـــرى بنـجل ابن الـيـــمـــانى

إذ تم الـله قـــــصـــدا لـــه بـأسـنـــى مـكـــان

تاريـخـــه فى حـــروف (أبشـــــر به بـأمـــــان)

ولادته: ولد بمكناس فاتح عام ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين وألف كما أفادنى بذلك ولده الفقيه الحيى الأديب السيد الحاج محمد خليفة عامل فاس فى العصر الحاضر.

وفاته: توفى بالمدينة يوم الأربعاء خامس رجب سنة خمس وثلاثمائة وألف وصلى عليه بعد فريضة الظهر من يومه بالروضة الشريفة ودفن ببقيع الغرقد بين مشهد سيدنا إبراهيم بن خير العالمين ومشهد إمامنا مالك رضى الله عن الجميع.

**٩٣ - إدريس بن أحمد بن التهامى مسامح.**

حاله: كان فقيها أستاذا مقرئا علامة متقنا له مشاركة حسنة فى الفقه والأصول والحديث والنحو والبيان والمنطق والقراءات وكان يؤدب الصبيان إلى أن اصطفاه وزير وقته السيد محمد بن العربى الجامعى لتأديب أولاده، فصار يظعن بظعنه ويقيم بإقامته فى التنقلات السلطانية كلها إلى أن اخترمته المنية بالحضرة الفاسية.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح السيد المختار الأجراوى وهو عمدته وعن المفضلين السوسى، وابن عزوز، وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

**٩٤- إدريس بن أحمد الخطابى الزرهونى.**

حاله: كان فقيها عدلا رضًا، تولى نيابة القضاء بالزاوية الإدريسية عن قاضى مكناسة ونواحيها السيد أحمد بن سودة المرى، إلى أن أعفى لعجزه وكبر سنه، وأقيم مقامه ولده المترجم آنفا، وقفت على رسم بخطابه مؤرخ بسبع وتسعين ومائتين وألف.

وفاته: توفى ليلة الخميس مهل قعدة الحرام عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور بمقبرة خيبر من الزاوية.

**٩٥- إدريس بن أحمد بن محمد البخارى المدعو البرنوصى المكناسى النشأة والدار والإقبار.**

حاله: فقيه وجيه حيسوبى، جليل القدر نبيه، له مهارة كبيرة فى الهندسة والرماية بالمدفع والمهراس.

تولى الأمانة على دفع مُؤَن الجيوش السلطانية إلى أن مات عنها وحضر مع السلطان المولى الحسن فى وقعة فاس الشهيرة الآتية الشرح والتوضيح بعد بحول الله، وهو الذى تولى رمى منار مدرسة الطالعة من فاس، ثم لما مرض بفاس واشتد به المرض طلب التوجه لأهله وذويه بمكناس، فأذن له فاخترمته المنية قبل وصوله.

وفاته: توفى يوم الأربعاء ثامن عشرى محرم الحرام فاتح عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف بأرض سايس، ودفن من الغد بضريح الولى الكامل سيدى محمد ابن عيسى المعروف بالشيخ الكامل يمين الداخل للضريح من باب المعراض.

**٩٦- إدريس بن المكى البخارى.**

حاله: كان متوليا رياسة الجيوش المخزنية، وقورا مهابا مهما، حل بالبساط

الملوكى، يقوم إجـلالا له كل من به من الجيـوش ولم يكن ذلك لأحد غـيره ممن تقدمه أو تأخـر عنه غير الوزير الصدر، وكان جوادا كـريما شجاعا مقـداما فصيح اللسان، قـوى الجنان، ثبتـا فى سائر شـئونه، عارفـا بالسيـاسة ونوامـيس المخزن وضوابطه، له مـهارة كاملة فى الحـساب والأوفاق واسـتخدام الجـان، يتقن رواية ورش وقالون والبصـرى إتقانا جيدا، خيرا دينا، ذا حـزم وعزم، لا تكاد تجده فى وقت من الأوقات على غير طهارة مهما حدث إلا وأسرع للوضوء حضرا وسفرا، تقى نقى، ذاكر ناسك.

أخبـر عنه بعض خواصه أنه كـان يصبح تحت وسـادته كل يوم مائة مثـقال فيدفعها للقيم بصائر داره فيصرفها بتمامها ولا يدع منها شيئا، وأنه كان يغلق عليه بيته فى بعض الأحيان ويأمر أهله بالتنحى عنه وعدم الوصول إليه إلا بعد إذنه لهم بالدخول عليه، فيسمعون كلام الغير معه، فإذا قضى أربه صفق إذ كان ذلك علامة على الإذن لهم فى الدخول عليه، فـإذا دخلوا عليه وجدوه وحده مستـقبلا القبلة وسبحته بيده وقد تواتر هذا وأمثاله عنه.

وكان لا يهاب لا رئيـسا ولا مرءوسا، ومن عادته الـتى لا تتخلف إذا أمره السلطان بالدخول عليـه أدخل يده تحت ثيابه وحل السراويل فـإذا قام أوهم الرائين أن السراويل حل واشتـغل بشده هنيهة قليلة، ثم يدخل على السلطان فـلا يواجهه بما يكره ولو وشى له به، وربما صرح السلطان بأنه مهما رام مـشافهته بسوء خرس لسانه بمجرد وقوع بصره عليه.

وفـاته: توفى بمكناسـة عام ثمـانيـة وثمانين ومـائتـين وألف ودفن بالزاوية الناصرية.

**٩٧- إدريس بن الحاج حفيد برادة الفاسى.**

حاله: كان شابا نجيبـا، حييا أريبا، فقيها نبيهـا، ذا سمت حسن، استخدم أمينا على الصائر على الدار السلطانية بالحضرة المـكناسية، ودرس بجامعها الأعظم

«الخلاصة» و«الآجرومية» وختمها ثم أعفى ورجع لمسقط رأسه فاس، ثم نقل لرباط الفتح وامتحن رحمه الله بالسجن، وبرباط الفتح كانت منيته.

مشيخته: أخذ عن شيخنا ابن الجيلانى ولازمه فى «المختصر الخليلى» وغيره، وكان القارئ لديه أيام حضورى دروس الشيخ المذكور زمن رحلتى فى طلب العلم بالحضرة الفاسية.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى زَرْهُون الحالى ابن عمنا سيدى محمد بن إدريس، والفقيهان العدلان المبرزان: السيد عبد الله المدعو جمعان، والسيد محمد ابن سميه التراب ومن فى طبقتهم.

**٩٨- إدريس بن القائد محمد بن أحمد الفيضى الأصل المكناسى الدار والإقبار.**

حاله: فقيه نبيه ميقاتى ماهر متضلع حيسوبى متقن مطلع.

وفاته: توفى بعد التاسعة من هذا القرن.

**٩٩- إدريس بن شيخ الجماعة القراء فى وقته الأستاذ البركة السيد اليزيد.**

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا مقرئا مجودا، حسن الصورة، حسن الصوت، حلو التلاوة، تأتى الناس لاستماع قراءته من الحومات البعيدة، يحفظ السبع حفظا متقنا، فاق أقرانه بل شيوخه، فكان حامل لواء القراء فى زمانه.

وكان أول أمره لا يحفظ شيئا، بعيد الإدراك والفهم يسخر منه صغار الولدان، ولما ضاق ذرعا من ذلك رحل إلى الجبل وأظنه جبل العلم فمكث ثَمَّ زمانا طويلا يتعاطى التعليم بقريحة وقادة وجهد واجتهاد حتى وقع له شبه اختلال وأنف من الاجتماع بالناس، فصار يذهب بلوحه لغابة قرب جبل العلم حيث لا يصل إليه أحد، ودام على ذلك مدة حتى لقى بعض الأخيار ولقنه قراءة بعض

السور القرآنيـة، فذهب ما به وفتح له وذللت له الصعـاب وحصل على حظ وافر من المعلومات.

ثم رجع لمكناس بعـد وفاة والـده حافظا ضـابطا متـقنا، واشـتغل بالإقـراء والتدوير والتدريس، وأقر له بالتفوق الفقهاء والقراء المرءوس منهم والرئيس، درس «درس الشاطبية» و«تصـوير الهمز» وغير ذلك مما لم يتصدر لتدريسـه غيره، ويقال إنه من آل البيت الأطهـار حسنى إدريسى والله أعلم، وكـان يحترف ببـيع الدقيق ولسانه رطب بالتلاوة.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول بن عزوز وغيره من علماء الجبل وأساتيذه، وعن السيد العربى بن شمسى.

الآخذون عنه: أخـذ عنه شيـخنا العرائشى، وقـاضى الأحواز أبو العـباس الناصرى، والعربى بادو، وجماعة.

وفاته: توفى مطعونا فى ثالث رمضان عام خـمسة وتسعين ومائتين وألف، وهو يصلى التراويح، يقرأ بحـرف حمزة فى قوله تعالى إن إبراهيم كـان أمة قانتا لله حنيفا وذلك بمسجد ضريح ولى الله سيدى أحمد بن خضراء.

**١٠٠- إدريس الوزير بن محمد بن إدريس العـمراوى بن محمد بن إدريس ابن محمد بن إدريس.**

ثلاث مرات.

يرفع نسبهم إلى محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، كان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بنى عمر منهم من عهـد قيام مغراوة على الأدراسة واختفاء الأدراسة فى أغمار القبائل كذا فى «الجيش العرمرم».

حاله: كريم السجايا، طويل النجاد، صادق اللهجة، حازم ضابط فقيه، نبيه

أديب لبيب، من أبرع الكتاب وأنبـههم، آية فى الترسيل وقرض الشـعر، صاحب أخلاق حسنة، وأفعال مرضية مستـحسنة، سعاء فى قضاء حوائج العباد، هين لين مقتصد بشوش.

وجهه مسـتوزره السلطان سيدى محمـد سفيرًا لفرنسا فى ثالث عـشر قعدة الحرام عام ستة وسبعين ومائتين وألف، وكان وصوله لباريز عشية يوم الأربعاء متم الشهـر، وأقام بباريز اثنين وأربعين يـوما، وقد ألف فى رحلته هذه رحلة سـماها «تحفـة الملك العزيز بمملكة باريز» وصف فـيها مـا شاهده فى سفـره من المنتزهات ودور الآثار والسكك والسـلاح والسـيـاسـة والنظام والمدن التى دخلهـا والعـوائد والأخلاق التى رآها وصفا كاشفا.

وقال: إن من جـملة ما خاطبنا به وزير خـارجية فـرنسا منذ مقـابلته لنا إن جميع مملكة فـرنسا ممنونة ومتشكرة بإحسـان مولانا السلطان مولانا محمـد بإنعامه بهذه السفارة، وهى مبدأ كل خيـر بيننا فأجبناه بما يطابق كلامه وكِلْنا له بالمدّ الذى كَالَ لَنَا بِهِ.

واتفق أن وجد فى سـفارته هذه عم السلطان فى احتضـار، وفى يوم الأحد سـادس يوم من يوم الدفن صـدر الإذن لهم بمقابـلة السلطان بعـد الزوال بساعـة ونصف، ولما مـثلوا بين يديه خاطبـه السفـير بقوله: بعـد أن نهدى أيهـا السلطان العظيم لمقـامكم الرفيع التـحية التى تناسب حـضرة عظمـاء الملوك، نعلم جنابكم المعظم أن سيدنا ولى نعـمتنا سلطان المغرب أيده الله وأعزه، وجهنى إليكم سـفيرًا لنسلم عليكم فى اسمه الشريف، ونجدد العهـد بدولتكم الفخيمة، ونهنيكم بلسانه العزيز على مـا منحكم الله من السلامة ويسـر لكم من الجلوس على كرسى ملك أسلافكم العـظام، وجمع كلمة الجنس وزوال مـا فيـها، ونبين لكـم ما عنده من السرور نصـره الله بذلك على عادة الملوك المتـحابين لا سـيما مـثل سلطنتكم التى لأسلاف سيـدنا معها المحبـة القديمة والمواصلة الأكيدة، ونقـرر لكم ما عنده أعزه

الله من المحبة التى ورثها عن أسلافـه والحرص على المحافظة على العهود والمواثيق التى تدوم بها وتتصل وتزيد المـواصلة، وهذا كتابه العزيز نتشـرف بمناولته لمقامكم متـضمن لما ذكـرناه، ونحن نرجو من الله أن تكون سـفارتنا هذه ووصـولنا إليكم زائدًا فى عقد المحبة وتوثيقها وتعليـة بنائها، وأن لا تزال فى المستقبل تتجدد وتنمو وتعظم حتى يكثر نفعها ويعم خيرها عـلى الرعيتين، كما أنا نشكر لحضرتكم هذه المقـابلة الـتى قـابلتنا بهـا الدولـة وولاتهـا منذ خـرجنا من بلادنـا إلى أن وصلنا لحـضرتكم، والبـرور تلقـونا به، ونذكره دائمـا، وذلك صـدر عن أمركم وعليـه نجازيكم بالخير الكثير.

وكلما قرأت فـصلا وقفت حتى يقرأ التـرجمان عليه ترجمـته حتى وصلت ذكر كتاب مولانا نصره الله فأخرجته وناولتـه إياه فقرب منى حتى قبضه بيده هنيئة وناوله للوزير المذكور خلفه.

ثم أجابه السلطان بقـوله: إنه لما بلغنا وفاة مولانـا عبد الرحمن رحـمه الله تأسفنا عليه غاية كمـا فرحنا بجلوس مولانا ابنه على التخت، لأن الشىء وقع فى محله.

وأما المحـبة والمودة فهى عندى أعـز من أن يضع ملك يده فى يدى أو أضع يدى فى يده ولعل سفارتكم تكون سبب الخيـر بين الدولتين، وكمال الاتصال بين الإيالتين.

وأما ما قابلتكم به رعيـتنا من البرور والإكرام فأنا الذى أمرتهم بذلك، وهو واجب علينا فى حق كل رجل معتـبر يأتى من عند دولة كبيرة سـيما دولتكم التى هى أحب الدول عندنا، ولا يأتى تشويش بين الدولتـين إلا من عدم المحافظة على الحدود.

وأما المطالب فـلا أقصـر فى قضائهـا على أكمل وجـه، وسنأذن للوزير فى استماعها منكم والمفاوضة فيها معكم.

قال فأجبته بأن مولانا نصره الله غير مقصر فى أمر الحدود، وحريص على إجراء الأمر فيها على القانون المعهود، وإن وقع شىء من رعاع الجيران وسفهاء الناس فعن غير رضا منه أيده الله ولا موافقة له، ولا يزال يسعى فى زجر من يسعى فى إفساد ما بين الإيالتين بغاية إمكانه، وحيث يسر الله فى ثبوت المحبة والمودة فمباشرة أمر ذلك تسهل بحول الله.

فأجاب بأن ذلك هو الظن وهو غاية ما نحب.

قال ثم لما تم الكلام وسكت وسكتنا استأذناه فى الانصراف فأذن لنا فانصرفنا.

ثم وجه سفيرا للإصبان وكانت له حظوة ومكانة مكينة، ولا غرابة، فبيتهم من البيوت العريقة فى المجد وممن تقدمت لهم خدمات مخزنية، وستأتى ترجمة والده فى المحمدين بحول الله.

(شعره) من ذلك قوله

رأيت غزالا بباب أسير ... يصيد القلوب بلحظ كسير

رمانى بسهم من أجفانه ... فغادر قلبى لديه أسير

فيا أيها الركب قولوا له ... إذا ضاع قلبى بماذا أسير

وقوله:

يا راحة القلب مالى ... عن حسن وجهك راحه

وكيف أبغى سلوا ... وأنت للقلب راحه

فلا تردى محبا ... إن مد نحوك راحه

تخذت وجهك روضى ... وروح قلبى وراحه

بالـهـــــجـــــر كلمـت قلـبى داوى بوصـل جـــــــراحـــــــه
وطال بـالصـــبـــــر شـــجـنى فلـتطـلقـــــين ســـــراحـــــه
فـــالبـعـــــد عنك عـــذاب والـقـــــــرب منـك إراحـــــــة

وقوله فى رجب سنة ١٢٤٤ لما عزم مـخدومه السلطان سيدى مـحمد على السفر للغرب:

ما لذ لى العـيش مذ فارقت حـضرتكم كـلا ولا طاب لـى كـأس ولا وتر
بانت حـيـــاتى مـذ بانت ركـــائبكم وحـال حـــال فـلا عـــين ولا أثر
أفـديـه من قـمـــر بالقلب مطلـعـه والقلب مـنزلة يحـتـلهـا القـــمـر
ركـبت بحـر الهوى فى حـبـه خطرا وفى مـحـاسنه يسـتـحـسن الخطر
كم لـيلة هاج أشـــواقـى تذكـــره واعـتـادنى المؤلمان الفكر والسـهـر
تبـــارك الله مـــا أحلى شـــمـــائله ما العنبر الشحر ما الريحان ما الزهر

وقوله متشوقا لمراكشة الحمراء وأهلها:

ألا ليت شـعـرى هل أبـيتن ليلة بمراكـش بين الأحـــبـــة ثـاويا
وهل أعـبـرن أم الـربيع وأتركن مـهـــامـه تـامـسنا هواء ورائـيـا
وهل أردن من واد صـبرة منهـلا ويبـدو منار الكتـبـيـين أمـامـيـا

وقوله:

ألا ليت شـعـرى هل أبـيتن ليلة بمراكش حـيث الغـريب عـــزيز
وهل أردن من واد صـبرة منهـلا وهل يبـــدون لى رمـرم وجلـيـز

وقوله:

يا سـيـد الرسـل إنى أنزلـت رحلـى ببـابـك
وهل يخـيب عـبيـد آوى لـظـل جـنـابـك

وقوله:

شفاعة خير الرسل أرجو غدا ومن يقـول إذا عـز الشـفـيع أنا لهـا
شـفـاعـتـه يرجـو المسىء وإننى جـدير بأمـداحى له أن أنالهـا

وقوله:

هنيـئـا أبا عـبـد الإله لك البـشـرى فهـذا زمان السعـد قد أظهر البـشرا
وهذى رياض الأنـس تزهو أريضـة وهذى بشـارات السـعود أتت تتـرا
فـرد من زلال الود غـيـر مكدر وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
فـقـد وصلت من بعـد طول تشـوق غزال بليل الشـعر قد أطلعت فـجرا
سـرت وظلام الليل أرخى سـدوله وزارت على بـعـد الديار لـنا بدرا
عجبت لشمس زارت البدر فى الدُّجَى وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
حكت ظبـية الوعـسـاء جيـدا وناظرا وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
يشـوق منهـا القرط صـوت خـلاخل فـأرسل للإتيـان بالخـبـر الشـعـرا
وقد غـردت من فوق غـصن قوامـها حـمـائم حلى آذنت باللقـا جـهـرا
تريك عـقـود الدر عند ابتـسـامـهـا وتسقيـك من سلسال ريقتهـا خمرا
ولا عيـب فيـها غيـر سقم جـفونـها وكـفل رداح ثقلـه أنحل الخـصـرا
وغيـر حديث قـد حكى السحـر رقة له فى سـويدا قلب سـامعـه مسـرا



obeikandl.com

فواصل بهـا وصل السرور ودم على ذرى المجـد والعلياء مـرتديا فخـرا
وخـذها كـمـا شـاء الوداد خـريدة تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
ودونكهـا كالروض قـد نثـر الحيـا بأرجـــائه من دمع ديمـــتـــه درا
فـفـتق من صـــون الكمـام أزاهرا فأعـبقت الأرجاء من طـيبهـا نشرا
ونادت طيور الشكـر فوق غصـونها «هنيـئا أبا عبـد الإله لك البـشرى»

وقوله من قصيدة فى مدح الشريف مولاى المأمون أخ السلطان مخدومه:

عـــذر المتـــيم فـى عـــيـــون العين وفـتـــورهن على الغـرام مـــعـين
كم من شـهـيد بين أرجـاء الحـمى بفـتـور ألحـاظ وســـحـر جـفـون
ومـــســهـــد من نـومـهن ومـنتش من سـكرهن وهائـم مـــحـــزون
لم ألف فى زمـر الأحـبـة مسـعـدا فى حـبـهن سـوى عيـون عـيـون
وخشيت من قلبى التقلب فى الهوى لما اكـتـــوى فطلبـتـه بضـمـين
دينى علـيـهن الوصـال وقـــد وفـا شـرطـى فـهـلا تركـن مطل ديون
يا عـاذلى كن عـاذرى فى حب من قـد طال شـــوقى نحـوها وحـنينى
لو أبصـرت عـينـاك أقـمـار البـهـا من فـوق كتـبان سـمت وغصـون
ورأيت طعن خـناصـر بمـحـاجـــر من تحـت ليـل ذوائب وقـــــرون
وشـهـدت برق مـبـــاسم كـالدرفى أسـلاكـــه والطلع فى العـــرجـون
وشـمـمت عـرق مـــواسم بمبـاسم لشفاهـها كالأَرْيِ[1] والزَّرَجُون[2]

(١) الأرى: العسل - والندى يسقط على الشجر.
(٢) الزرجون: قُضْبَان الكَرْم - والخمر.

لعـذرت من ملـك الجـمـال قـيـاده ولدنت فى شـرع الـهـوى بالهـون
وعلمت أن لا شيء يـفـضله سـوى مـدح الخليـفـة سـيـدى المأمـون
علم تسـربل فى العـلا حلل الرضـا وعـلا بتـسليم وحـسن يقـين
وسـمـا بـه الظن الجـمـيل لـرتبـة لم يرض قـبل صـعـودها بالدون
عـرفت به همم سـمت من زخـرف فـأبـان عن سـفـسـافـه الموهون
وأتى الرعـيـة حظهـا من رفـقـه فـإن رهبـة حكمـه فى الـلين
عف الضـمـائـر والجـوارح فـيـهم عن نيـل مظلمـة وكـشـف ظنون
خلق كـأخـلاق النسـيم لطيـفـة وشـمـائل كـالروض غب هـتـون
ومـواهب تحكى السـحائب عـفـوها بـعـطـاء لا نـزر ولا ممـنـون
مـغناه مـغنى للمـبـيـت ولفظه مـغـن عن التـوضـيح والتلقـين
لم تلـقـه إلا مـشـمـر ذيله مـتـأهبـا للخـيـر غـيـر ضنين
أسنى الـدخـائـر عنده مـا يقـتنى لعـلا الـعـسـاكـر أو أمـور الدين
وألذ شيء عـنده عـرض الجـيـا د مع السـلاح المنتـقى المتـقـون

وقوله يرثـى العلامة سـيدى حـمدون بن الحـاج لما توفى وذلك عشـية يوم الاثنين سابع ربيع الثانى عام اثنين وثلاثين ومائتين وألف:

حـيـاض المنايا للبـرايا مـناهل وكل الـورى للورد منـهـا نـواهل
قضاء من الرحمن حتما على الورى وكل قـضـاء الـله لا شك واصل
فـلابد للأحيـاء من ورد حـوضهـا كـمـا وردتهـا فـى القـديم الأوائل
ومـا هذه الدنيـا سـوى دار رحلة ولابد مـن يوم تشـد الـرواحل

فيا أيها المغرور والأمل البقا ... تزود من الدنيا فإنك راحل
ولا تغترر منها بحسن زخارف ... فكل سوى الله المهيمن باطل
فظاهرها للجاهلين محاسن ... وباطنها للعارفين رذائل
وما نحن إلا كالجياد بمضمر ... وتسبق فى الميدان منا الأفاضل
رأيت المنايا تنتقى كل سيد ... لها كل يوم غارة وجحافل
وتردى صميم المجد من فتكاتها ... كأن لها ثارا عليه تقاتل
(تحامى الرزايا كل خف ومنسم ... وتلقى رداهن الذرا والكواهل[1]
أما وجدت عنا الخطوب معرجا ... أما ردها عنا العلا والفواضل
لقد هد ركن الصبر يوم نعوا لنا ... إمام العلا من فى الفضائل كامل
وقلت لا والله ما كنت داريا ... من الوجد والأحزان ما أنا قائل
أحقا عباد الله حمدون قد قضى ... لقد ثكلتنا عند ذاك الثواكل
نعم قد قضى شيخ الجماعة والتقى ... وغالته من دون الأنام الغوائل
لقد كورت شمس السيادة بعده ... وبدر العلا والمجد والعلم آفل
وهد سماء الجود والمجد واعترى ... بفقدانه أرض القلوب الزلازل
وغاضت بحور العلم بعد طفوحها ... وعاد رياض النظم والنثر ذابل
وسدت طريق السالكين إلى العلا ... وعادت طريق المتقنين مجاهل
رزيته أزرت بكل رزية ... وفقدانه خطب لعمرى هائل
لئن كان شمسا قد هوى فوراءه ... هلال بآفاق السيادة كامل

(١) فى هامش المطبوع: «البيت الأول لأبى العلاء المعرى ضمنه المترجم وأجاد».

وذكـــر ســـرى بين البـــريـة طيب كـــمـا هب ريح عطـرته الخـمـــائل
وأوضـاع علـم يسـتـضـــاء بنورها ونظم ونـثـر للـمـحـــاسن شـــامل
فـــصـبـــرا أبا عـــبـد الإله فـــإنما بقـدر جليل الخطـب تعطى الجـلائل
وإن مـصـــاب المسلمـــين بفـــقـده مـــصـاب عظيـم هاج منه البـــلابل
أحـمـدون من للمـشكلات يبـينهـا إذا قـصـرت عن فهـمـهن الأفـاضل
ومن لعلـوم الدين يتـقن درســـهـا فـتـــشـرق نـورا من ذكـاه المســائل
ومن للمـــعـــانى والبـيـــان يبـــينه بعـــضب لســـان للجـــهـالة قـــاتل
ومن لامـــتـــداح المصطفـى بمدائح عليـهـا مـن السـحـر الحـلال دلائل
ومن لذوى المعـروف إن عنَّ حـادث فـــيلقـــاهم بشـــر لديك ونـائل
لقـــد كنت غـــوثا لـلأنام ومنهـــلاً إذا مـــا عـــرتهـم من زمـــان نوازل
وكنت دلـيل الســـائرين إلى العـــلا وبدرا بآفـــاق الهـــدى مـــتكـامل
وكنت لـهـــذا الدهر زينـا وحليـــة فـهـا جيـده من بعـد بعـدك عـاطل
وكنت لذى الحـاجات خـير وسـيلة إذا عـــدمت فى العـــالمين الوســـائل
فـأصبـحت مقـصى فى ديار جنيبـة وقـد عدمت تـلك العلا والفـضـائل
وأضـحت ربوع العلم وهى كـئـيبـة خـــوال ونور العـز بـعـدك حـــائل
وأصـبحت الطلاب بـعدك فى ظمـا وقـــد كـــدرت للـواردين المنـاهل
وعاثت جيوش الحزن فيهم وحكمت على الرغم فى الأحشا الظبا والعوامل
ونار الجـوى بين الجـــوانح أجـجت وسـحب الدمـوع فى الخـدود هوامل
فمـا عيشـهم من بعد بعـدك صالح ولا فى الحـيـاة بعـــد فـقـدك طائل

فلو كنت تفدى بالنفوس تسابقوا ولم تغلهم فيك النفوس الجلائل
ولكن قضاء الله حم فما امرؤ يرى دون ما قد قدر الله حائل
لقد صرت للبدرين قبلك ثالثا به تم بين العالمين التماثل
كأن لم ترى شبها لفضلك فى الورى فأصبحت بالشبه المماثل نازل
ثلاثة أقمار ثوين بروضة عليها من النور البهى شمائل
جبال علوم راسيات لدى العلا بحار لعمرى ما لهن سواحل
سقى ترب ذاك الروض شؤبوب رحمة وسحت عليه السواريات الهواطل
وبوأ من قد حله الله جنة لهم بعلا الفردوس منها منازل
بجاه إمام المرسلين وآله وأصحابه أهل الرشاد الأفاضل
عليهم صلاة الله ما ذر شارق وما سجعت فوق الغصون البلابل

وستأتى بعض قصائده الرائقة فى ترجمة السلطان مولاى الحسن إن شاء الله.

وفاته: توفى بالوباء برباط الفتح صبيحة يوم الخميس رابع عشر جمادى الثانية عام ستة وتسعين ومائتين وألف ولا زال عقبه بمكناس إلى الآن.

**١٠١- إدريس بن الحاج بوعزة الميسورى.**

حاله: فقيه أستاذ مجود متقن ذو صوت حسن حلو التلاوة يحفظ القراءات السبع حفظا جيدا، عارفا بمخارج الحروف، رشح لتعليم بعض أفراد أبناء العائلة السلطانية بالدار المولوية المحنشة من الحضرة المكناسية، ثم رحل لفاس بصفة كونه مؤدبا لصنو مولانا المنصور بالله البركة الفاضل الذاكر المجتهد مولاى محمد فتحا نجل السلطان المقدس المولى الحسن وذلك بعد العشرين من هذا القرن، ومكث به مدة ثم رجع لمسقط رأسه مكناسة ولم يزل بها إلى أن لقى ربه.

١٠١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع - ص ٢٨٦٥ فى موسوعة أعلام المغرب.

مشيختـه: أخذ عن شيخ جماعة المقرئين السيد العـربى بن شمسى، والسيد فضول السوسى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وغيرهم.

وفاته: توفى سنة تسع وعشرين وثلاثمائة وألف ودفن بمقبرة سيدى الحريشى من هذه الحضرة المكناسية.

**١٠٢- إدريس الأمـرانى بن عبـد السلام بن مـحـمد فـتحـا بن عبـد الله بن الظاهر بن مـحـمد بن عـبـد الواحد بـن العربى بن مـحـرز بن على بن يوسف بن على الشريف بن الحسن الصغيـر بن محمد بن الحسن القادم من ينبع النخيل إلى تافيلالت رحم الله الجميع بفضله وكرمه.**

وأمه الدرة المصونة السـيدة نفيسة بنت السلطان الأفخم مـولانا عبد الرحمن بن هشام.

حاله: فقـيه أديب نبيه لا تكاد تتـمشى عليه الحيل فى أخـذ ما بيده، راوية محاضر، أريحى مهـذب عالى الهمة، فخور وقور، يحب الفخـر والتفرد بالمعالى ونفـائس الأمور، آية فى الإنشـاء والترسـيل، نشـأ نشأة حـسنة بين أبويه فتـأدب وتهذب، وقرأ القرآن المجيد وجوده بحـضرة مكناس وحفظ أمهات الفنون وأشعار العرب ووقـائعهـا، وأكب على تلقى العلوم بجـد واجتـهاد حتى نبـغ وبرع وفاق أقرانه، ثم بعد أن فتحت له النجابة بابها رحل لفاس ولازم مجالس دروس عظماء أعلامـها مدة وشـارك فى فنون، ثم رجع لبلاده مملوء الوطاب واشـتغل بالفـلاحة وصرف كل وجهته إليها ولكنه لم ينس نصيبه من المطالعة.

أصله من شرفـاء زاوية الأمرانى بسجلماسـة، تلك الزاوية المباركة الشـهيرة ذات الحـرمة العظيـمة، خـرج جـد المترجم السـابع وهو المولى عـبد الواحـد من

---

١٠٢ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٤٥.



obeikandi.com

سجلمـاسة مع السلطان المولى الرشيد، زمن فـراره من أخيه المولى محـمد، فنزل بالزاوية الدلائية بعد ما استقل مـولاى الرشيد بالملك، وأخذ العلم بها عن أهله ثم نزل بأفران من بلادزيان واستوطنها، وبها توفى، وضريحه هنالك مشهور.

وقد كان لبنيـه من بعده جاه ووجاهة عند بنى عـمهم الملوك العلويين، ولا زال عقبهم محل تجلة وإكرام إلى وقتنا هذا.

صاهر المترجم السلطان المـولى عبد الحفيظ بأختـه السيدة حفصـة، ورشحه لإخماد نيـران فتن البربر التى ثارت عليه، وشقت عصـا الطاعة، وتمردت وعاثت فى السـبل، وخيمـت بحللها برأس الماء قـرب فاس، وقطعت المواصلة بيـن فاس ومكناس بل سائر الجهات، ومدت يد النهب والسلب فى المارة وبالأخص بسايس.

وقد كانت فاتحة أعـمالهم بنهب شيخنا العلامة السيد الحـاج المختار بن عبد الله ابن عم الوزير أحمد بن مـوسى السابق الترجمة وخلفـه فى الوزارة، وستأتى ترجمته بحول الله.

وكان ترشيح السلطان المذكور لصاحب الترجمة لهذه المهمة بإشارة من بعض من له فى المتـرجم شـهوة وغـرض، وأفرغ ذلـك للسلطان فى قـالب أن القبـائل البربرية خدمة للشـرفاء الأمرانيين لا يرفعون أمامهم رأسـا ولا يردون عليهم كلاما ولا يعصـون لهم أمرًا، وأن للمترجم ووالـده وجده وسلفه من الحرمـة والمكانة ما يقضى عليهم بالانقياد والرضوخ للطاعة.

ولما استـقر ذلك فى ذهن السـلطان أمر وزيره الصـدر الأعظم حينه السـيد المدنى بن محمد الأجـلاوى بأن يأمر صاحب الترجمة بالتوجه لهـذه المهمة، فوجه عليه وبلغه الأمر المولوى فتعلل واعـتذر ولم يأل جهدا فى التنصل، وذلك بعد أن كان السلطان وجه لهـم القائد عبد المالك المتوكى أحـد أعيان دولته، وكبـار عمال

مولاى إدريس الأمرانى

والده، وصنوه السلطان مولاى عبد العزيز مـن قبله، وذلك بصفة كونه بربريا وله مع بعض زعمائهم يَدٌ، وَسـابقية معروفة، واجتـمع بذوى رأيهم قرب دار دبيبغ، وراجت بينه وبينـهم المخابـرة فى الرجوع عـن البغى والـتمـرد والرجـوع لطاعـة السلطان، وتحمل لهم بكل ما يرومـونه من السلطان، ولم تحصل من تلك المخابرة أدنى نتيجـة سوى تحصيل الفئة البـاغية على تسريح أساراهم الذين كـانوا بسجون فاس.

ولما سرحوا تمادوا، وحاولوا تشتيت محلة السلطان التى كانت مخيمة بمصلى باب الساكمة، أحد أبواب فاس الشهيرة، وعين قادوس، والاستيلاء على ذخائرها وعدتها وعددها واقتحام فـاس، وصمموا على ذلك فكانوا كل يوم يهجمون على تلك المحال ذات العدة والعـدد، ويشتد القتال بين الفـريقين وتبقى الجثث مبـعثرة طعمة للكلاب والغربان.

ولما لم تقبل من المترجم معـذرة ورأى أن لا مناص أخذ على الوزير المذكور العهـد والميثاق على أن لا تخفـر له ولا لهم ذمة إن هم أجابوه للرجـوع للطاعة، وتكفل له بذلك قنصل الدولة الفرنسية إذ ذاك بفاس المسيو كيار.

فعند ذلك وجه بعض أصـحابه لمن له بهم معرفة من أعيان البـرابر يستأذنهم فى الخروج إليهم فأجـابوه لذلك، فخرج إليهم لرأس الماء وفى معيـته أخوه العدل الرضى مولاى سـعيـد، فتلقوه بالـترحيب والإجـلال، وأظهروا له من الخـضوع والانقيـاد ما لم يخطر له ببال، وأمـسكوا فى ذلك اليوم عن الهـجوم على المحلة احتـراما له وتعظيمـا، وظل يومه يعظ ويذكـر ويحذر وينذر ويعد ويمنى زعـماء أولئك الأوباش الأنجاس كى يردهم عن طغيانهم.

فتصدى للكلام معه من رؤساء فـتنتهم القائد حم الحسين المطيرى البورزونى والقـائد عق المطـيرى البويدمانى والقائد محمـد بوزومة الأغواطى، والقائد محمد

بو كـرين المطيرى وغـيرهم من أركـان البغى والعـتو، وبعـد أخذ ورد تحلمـوا له بتشـتيت تلك الجموع وتفـريق كلمتها بكـيفية لطيـفة معينة على نقض مـا أبرموه وتحالفوا عليه، وجـعلوا معه على ذلك جعلا يؤديه لهم نقدا معـجلا يفرقونه على رءوس تلك القـبائل وذوى الرأى منهم، فـالتزم لهم بذلك، وأخـذ منهم عمـامة وأخذوا منهم برنوسا على العادة البربرية فى التحالف على عدم التخالف.

وطير الإعلام للسلطان بالنتيجة فأجابه بواسطة وزيره المذكور بالمساعدة التامة على إمضاء ما أبرمه.

وكانت مدة مقامه بين ظهرانيهم يومين بليـاليهما فما راعه إلا ورقاص متأبط لكتاب لعق وبوزمة المذكـورين من بعض رؤساء المحلة من خاصة حـاشية السلطان يأمرهما برفض مطالب المترجم رفضا كليا، وأن يعـيراه أذنا صماء ويردانه خاسئا، وحذرهما من صدور هذه المزية على يده، فقلبوا عليه ظهر المجن، وأظهروا له من النفور والجفاء ما صيره فى حيص بيص، يتـوقع الإيقاع به واحتجوا عليه، ثم بعد محـاججـة ومراجـعة، منهم من رجع إلى الانقـياد ومنهم من تمادى على الـنفور والشرود، ومنهم من أظهـر الطاعة وأصر على المخـالفة والشقـاق كالمكتوب لهـما بالتحذير من إسعاف رغبة المترجم.

وكان آخـر اتفاق وقع بينهم وبـين صاحب الترجـمة أنهم وقت مـا أمكنهم تفريق كلـمة تلك الجمـوع يطيرون الإعلام إليـه ليأتيـهم بالدراهم المتفق عليـها، وبظهير سلطانى بالعـفو عما جنوه والقبض على صـاحب الكتاب الساعى فى دوام توقد نيران الفتن وتوليته خليفة عليهم واسطة بينهم وبين السلطان.

وبعد تحـمله لهم بما ذكر رجع لفـاس وتلاقى مع الجلالة السلطانيـة وقرر له جميع مـا راج من المبدأ إلى المنتهى، فأجـابه بجميع ما اشتـرطوا إلا القبض على صاحب الكتـاب، وأمر الوزير الصدر بكتب الظهيـر بما ذكر وتنضيد ثمـانية آلاف

ريال – أربعين ألف فرنك –، وتمكين صاحب الترجمة من الجميع وإلزامه الرجوع إليهم من حينه وعدم سماع كل عذر يبديه فى التخلف، فلم يسعه إلا الامتثال مع تحققه سوء المنقلب فوجه رسولا إليهم يخبرهم برجوعه لطرفهم.

ولما وصل إليهم الرسول وقص على الأصدقاء منهم القصص، أخفوه عن أعين رؤساء العتو المظهرين خلاف ما يبطنون، ورجعوه إلى مرسله المترجم، وحذروه من الخروج ولا سيما قبل القبض على من اشترط القبض عليه، وعرفوه بأنه إن خرج إليهم قبل إذنهم له ووقع فى محذور فإنهم لا يغنون عنه شيئا، وربما كانوا عليه، هذا والأوامر المخزنية تتجدد وتتوارد على صاحب الترجمة بالإزعاج للخروج، حتى أتاه كاتب الصدارة الأول أبو العباس أحمد الزمورى بأمر بات، فلم يسعه إلا الامتثال فخرج فى التاسعة صباحا وحمل ما يحتاج إليه من أخبية ومئونة، إذ كان فى عزمه التخييم بين أظهرهم حتى تنحسم مادة البغى والعتو.

ولما وصل لنزالة فرجى الشهيرة خارج باب فاس وفى معيته أخوه المولى سعيد المذكور آنفا، وكاتبه الفقيه العدل السيد محمد بنونة ناظر الصغرى الآن بمكناس، وجدوا الوطيس أمامهم قد حمى ومدافع المحلة تصب قنابلها صبا، فتقدم المترجم إليهم وأشار للفريقين بالإمساك عن القتال فأمسكوا، ثم تقدم للفئة الباغية فحياه حملة راياتها وأظهروا له من الخضوع والانقياد ما سُرَّ به وتيقن نجاح مقصده.

ولما لحقت به أوعيته وأثقاله بالنزالة المذكورة وجهها مع أخيه المذكور فى خفارة بعض بنى مطير، ورجع هو بقصد الملاقاة مع السلطان والمفاوضة معه، فتعرضت له شرذمة من خيل الفساد وهجموا عليه وأنزلوه عن فرسه بغاية العنف والقساوة، بعد أن قطعوا حزام سرجه وجرحوه هو بمدية فى رجله وجردوه من ثيابه بكيفية شنيعة كاد أن يموت بها خنقًا، ولم يتركوا عليه غير قفاز وسراويل،

ولولا أن رجلا من قـبيلة مجاط رق لحـاله وأركبه فـرسا وألبسه برنسـا على وجه العرية لهلك، ولم يأل جهدا فى المدافعة عنه.

ثم قصد المترجـم خِبَاءِ كَبِيرِ المحلة المخزنيـة، وهو إذ ذاك الطالب أحمد بن مبارك الشـاوى الحاجب فى ذلك الحين فلم يجـده، وإنما وجد الطالب إدريس بن منو السوسى نزيل سطات فى الحـين الحالى، ورد الفرس والبرنس لصاحبـه شاكرًا فضله وجزيل إحسانه.

وبعد أن استراح واطمأنت نفسه دخل فاسا على حالة يرثى لها، وقص على السلطان القـصص، وذهب لداره يتـقلب فى أليم الألم، ومـا قاسـاه من التنكيل والهوان، ولم يزل يقاسى من ذلك شدة بضـعة أيام، والوزير فى كل يوم يوجه له عن الأمر السلطانى مرات بتـرجيع الدراهم التى كان أخذ بقصد إنفاقـها فى سبيل الإصلاح طبق مـا أوضحناه رغـمًا عن نهبـها له فى جـملة ما نهب من حـوائجه وبهائمه.

وأما أخوه المولى السعيد والكاتب والأثقال، فإن البرابر التفت بهم وقصدت بهم رأس الماء، وبينما هم فى أثنـاء الطريق إذ وجدوا الرسول الذى قدمـه المترجم للمتمـردين أمامه، فأشار إليهم بخـسر المسعى ووخيم العقـبى، فلم يجدوا مناصا لحصـولهم فى شبكة إخوان الشـياطين المتمردين المحـدقين بهم، فصـاروا يضربون الأخـماس فى الأسـداس، ولات حين مناص، وزمـر البـرابر تلتحق بهم رجـالا وركبانا إلى أن أشرفوا على رأس الماء محل تعشيش فسادهم، فوجدوا البقية الباقية فى انتظارهم حول الخيـام فالتحقوا بإخوانهم المفـسدين، ومدوا يد النهب والسلب والضرب، ولما استـولوا على جميع ما كان مـعهم من مال ومتمول تركـوهم حفاة عراة كـيوم ولدتهم أمهـاتهم، غير المولى سعـيد فإنهم أبقـوا عليه بعض ما يسـتر عورتـه، وتفرقوا فـى رأس الماء شذر مذر، بـين خيـام البغاة المـعتدين، بـعد أن

سمسروا سلبهم أمامهم وهموا بإحـراقهم وجمعوا الحطب لذلك فعلا، ولكن الله سلم، وباتوا شر مبيت لم يلتق واحد منهم بصاحبه ولم يدر ما فعل به.

ومن الغد اجـتمعـوا ودخلوا فاسا فى حـالة تعساء، يقـف لسان القلم عن وصفها والتعبير عن شرحـها، ولما حل المترجم بفاس ومثل مولاى سعيد بين يدى السلطان، رق لحاله وأعطاه كسوة من ملبوسه.

وأما العـتاة فـقد ازداد عـيثهـم وتكلبهم على النهب والقـتل، وتمادوا على الهـجوم علـى المحال المخـزنيـة فى كل بكرة وعشـى، وأجلبت بخيلـها ورجلهـا وضيقت بالعاصمة الفاسية، وقطعت عنها السبل وحاصرتها ونازلتها بين أسوارها، حتى فنيت صناديـد رجال المخزن، وعدمت أمـواله، وأصبحت المـدينة وأهلها فى خطر عظيم، وصار الكور والرصاص ينزل أمام السلطان بقعو داره، وأحزاب العتو والفسـاد فى هيجان حـتى صارت تشتـرط على السلطان الشروط وتهـدده وتأمره بالرجـوع للجادة فى زعـمهم وإبعـاد بطانة السوء عنه، وحـصروها فى أفـراد من حاشية بساطه وعظماء دولته، سمـوهم له وإعطائه كفيلا لهم يرضونه يلتزم بالوفاء بجميع ما شرطوه.

فعنـد ذلك اضطر السلطان إلى الإرسال لدولة فـرنسا يسـتنجد بهـا، فلبت طلبتـه ووصلت جنودها لفاس، ومـزقت جمـوح أحزاب الفئـة الباغـية كل ممزق وانتشرت أعلام السلم.

ثم بعد ذلك قام العـسكر المنظم ضد البعثة العـسكرية المكلفة بتنظيم الجندية المغربية، وامتنع من قبول النظام والقوانين حـتى وقعت مذبحة إبريل المشئومة على البلاد والعباد فلقد هم الجنرال موانى قائد الجيش الفرنسى بإطلاق أفواه المدافع على فاس، وتـقويض أركـانه، ولولا وجود سـفيـر الدولة الفرنسـية المعـروف بالرزانة والثبات والعقل والسـياسة رينو، ووقوفه أمام تيار غـضب الجنرال المذكور وإقناعه

بالحجـة بأن أهل فاس برآء مضـروب على أيديهم لا دخل لهم فى الواقعـة لهدت صوامع ومساجد.

ومع هذا فـقد كانت الـنتيجـة إعلان الأحكام الـعرفيـة بالبلاد، وانتـزعت الأسلحة من الأهالى وقـبض على كل من وقع الاشتبـاه فيه بمداخلة فى القضـية، وقتل كـثير منهم صـبرًا وخلد بعضـهم فى السجون، ولا زال البـعض إلى الحين الحالى.

وقد تقدمت له خدمات مخزنية، منها الترشيح لعمالة الدار البيضاء بعد وفاة عمـه الذى كان خليفـة بها سيـدى محمـد، وذلك عام واحد وثـلاثين وثلاثمائة وألف، ثم أعـفى بطلب منه، ودونك نص ظهيـر إعفـائه بعد الحـمدلة والـصلاة والطابع السلطانى الفخيم:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله قدره، وأطلع فى سمـاء المعالى شمسه المنيرة وبدره، أنه لما كـان ابن عمنا ونخـبـة أصهـار أسلافنا الكرام، مـولاى إدريس بن المرحوم مـولانا عبـد السلام الأمـرانى مطوقا ولاية عـمالة الدار البـيضاء بـكمال واستـحقاق، وقـام بالواجب فى تلك الولاية قيـاما يشهـد له بحسن السـيرة على الإطلاق، وتمشى فيما أُنِيط به من أمورها على النهج القـويم، والصراط المستقيم، ثم حدث له الآن من شئون عائلته وعائلة والده وعـميه المتفرقات بفاس ومكناس، مع عدم من يعـتمد فيـها عليه، ما خـشى معه صـدور إخلال منه بالقيام بوظيـفه المذكور، ومن أجل ذلك طلب من جـانبنا الشريف كفاية مشـقة تلك العائلات أو إعفاءه من ذلك الوظيف، فاخترنا له الوجه الثانى وهو الإعفاء من الوظيف المذكور نظرًا لمصلحة العائلات التى هى فى نفس الأمر عائلاتنا، لـيتفرغ لمقابلة ضروریاتهم كالنائب فى ذلك عن شـريف جانبنا، وقد أعفيناه من الولايـة المذكورة ملاحظة لما ذكر، راضين عنه رضاء يتكفل له بزيادة الحرمة والوقار، والتمييز والاعتبار، وينيله

فى سائر المحافل الرسمية والهيآت المخزنية كمال العز والافتخار، فهو عند جنابنا العالى بالله اليوم كما كان بالأمس سواء بسواء، إذ على قدر العمل يكون الجزاء، ونأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف أمرنا أن يعلمه ويعمل بما فيه ولا ينافيه، والسلام، فى ثالث عشر محرم الحرام عام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

قد سجل هذا الظهير بالوزارة الكبرى بتاريخ يوم كتبه صح به محمد الجباص وفقه الله» ومحمد الجباص هو الصدر الأعظم إذ ذاك.

مشيخته: أخذ عن عمه المولى الكامل، وعن المفضلين ابن عزوز، والسوسى، والتهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، وقاضى مكناسة أبى العباس بن سودة وشيخنا أبى عبد الله محمد القصرى، وأبى مروان عبد المالك الضرير، وأبى عبد الله محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا أبى عبد الله محمد القادرى، وأبى العباس أحمد بن الخياط الزكارى وغيرهم.

ولادته: ولد أواخر ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف على ما كتب لى بخطه.

وفاته: توفى رحمه الله فى الساعة الحادية عشرة وثلث قبل زوال يوم الخميس رابع عشرى حجة الحرام عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف ودفن من يومه بالضريح الإسماعيلى أمام المحراب بالمباح الشرقى من الصحن الكبير لصق الجدار الشرقى منه رحمه الله وبرد ثراه.

**١٠٣- الأمين: العطار دفين جبل زرهون.**

حاله: ولى كامل صالح فالح واصل، ظهرت له كرامات وخوارق عادات، وله مكاشفات صحيحة، وهو من الرجال الذين عدهم الشيخ زروق فيمن لقى.

مشيختـه: ينتسب لسيدى عبد القادر الجيلانـى، وأبى يعزى صاحب تاغيا، يقال إنه رآهمـا فى المنام فأمداه، وكـان عقد مع الله أن كل نافلة يعـملها فثـوابها لهما، فرآهما بعد ذلك وهو عند قبر أبى يعزى فأعطياه.

الآخذون عنه: منهم العارف العالم العامل السيد أحمد بن عيسى البرنوصى الفاسى المعروف بزروق المـتوفى ليلة الأحد ثامن عشرى صـفر عام تسعـة وتسعين بتقديم التاء فيهما وثمانمائة وناهيك به.

وفاته: توفى سنة ستين وثمانمائة.

**١٠٤- إسـماعـيل: أبو النصر بن الشـريف بن على الينبـوعى السجلمـاسى الحسنى السلطان.**

الذائع الصيت فى المشارق والمغارب، فخر ملوك المغرب الأقصى.

حاله: رجل السيف والثـبات، له فى اجتثاث ما يسـخط الله تعالى وَثَبَاتٌ، وطنى غيور، حر الضمير، صلب فى دينه، متـمسك بحبله المتين، يعاقب العقوبة الصارمة، كل من ظهرت منه مخالفة فى الشعائر الإسلامية، أو مروق من الدين.

قال مؤرخ فرنسا (سان الون) سفير لويز الرابع عشر ملك فرنسا للمترجم فى رسالة وجهها لملكه المذكور يصف له أخلاق صاحب الترجمة:

«أما أخص أوصافه فهو الاعتقاد الراسخ فى الدين، لا تأخذه فى الدين لومة لائم، مستحـضر لآى القرآن فى كثير من أحـواله، ومضحيا نفسـه فى سبيل نشر الدين وعلو كلمته، وبالجملة فإنه لـم يظهر ملك ذو قوة وثبات على أصول الدين مثل مـولاى إسماعيل مـنذ قرون، مطلع على العلوم الدينية، مـتفقـه مستحـضر لمسائلهـا الأصلية، يتمذهب بمذهب مـالك، يصوم زيادة على رمضان شـهرين فى

١٠٤ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٥/ ١٩٩٦..

**فخر الملوك وأعظم السلاطين**

**مولانا إسماعيل بن الشريف بن على الحَسَنى**

**دفين مكناسة الزيتون - رحمه الله**

العام، وما شـرب قط مسكرًا فى عمره، ويعتمـد على الله فى سائر أحواله، وإذا دخل فى صلاة توجه بكليته إلى ربه، ويتجرد من نخوة الملك وحلته، ويطلب من الصلحاء والحجاج والعلماء الإكثار من الدعاء له بظهر الغيب.

وقد أقام سنة صلاة الاستسقاء فى سنة الجدب التى كانت سنة ١٦٨٠ فخرج بنفسه فى اليوم السابع عشر من مـارس حاسر الرأس حافى القدمين فى بذلة خلقة مصحوبا بسائر حاشية ملكه، والجم الغفير من رعيته.

ويعد إقامة الصلاة بذلك الجمع زار سائر مـساجد المدينة واستغرق ذلك يوما كاملا، ولما رجع إلى قصره أصدر أمره لسائـر المسيحيين الذين بإيالته بتنكيس سائر الأصنام التى بكنائـسهم ومـحال عـبـادتهم، ويعظم أرباب الزوايا وأهل الصـلاح المشهورين بالاستقامة، ويدعو المسيحيين للدخول فى دين الإسلام.

صدرت منه مكاتب بذلك لجل دول أوروبا، أشهـرها كتابه للويز ١٤ يذكره بكتـاب النبى إلى هـرقل عظيم الروم، ويدعـوه إلى الإسـلام، ويدعـو الرهبـان الموجودين بـإيالته لحضـرته، ويناظرهم فى الدين ويأمـرهم بإحضار مـا لديهم من الكتب والحجج والدلائل على معـتقداتهم، ويتناول ذلك بالنقد والبحث، مـعتمدا على التآليف الإسلامية التى كان يحضرها فى المجلس.

وله اهتـمام كبـير ببناء مكناس - عـاصمـة ملكه - وتعمـيرها وزخـرفتـها وتزيينها، كأنه يريد أن يحدث لأمته آية من آيات ملكه تكون عجبا لقومه، وآية لمن يأتى من بعده».

قال: «وكـان من مزيد اهتمـامه تجاوز حـد المهندسين الفنانين فى أعـماله، يهتم فى هذا الأمر بجليله وحقيره، فيصدر الأوامر للبنائين بنفسه، ويراقب أعمال العملة بشخصه، ولا يترفع عن تناول المسحاة - الفاس - أو أى آلة من آلات البناء

بيده، ويختبر الجير والتراب وغيره خشية أن يكون فيه غش، كما يختبر أيضا استقامة الجدرات حتى لا يكون فيها ميل أو عيب من العيوب، ويهتم أيضا بنقل الأشجار وغيرها من الأمور اللطيفة حتى لا يقع فيها كسر، وبالجملة فإنه لا يفوته شيء ولو كان لا أهمية له.

وقال: «إن سائر ما فى مكناس من العظمة والضخامة راجع فضله للمولى إسماعيل، وكان يحبها حبه لإحدى بناته، وكان يفاضل بينها وبين فاس، ويفضلها عليها، والظروف السياسية والاقتصادية تطابق فكره فى انتخابه لها عاصمة». انتهى.

الغرض من الرسالة.

وقال فى حقه صاحبا الكتاب الموسوم بأهم مراحل تاريخ المغرب المطبوع بباريز سنة ١٩٢١ صحيفة ٦٧:

«إن مولاى إسماعيل قام بأمر عظيم يمكن أن يشبه بأعاظم ملوك تاريخ فرنسا».

وقال فى حقه مؤرخ فرنسا الشهير الكنت دوكاسترى فى الصحائف ٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ من كتابه المعنون بـ «مولاى إسماعيل وجاك الثانى»: بعد أن سرد ما وصفه به بعض مؤرخى أوروبا وبالأخص رؤساء الدين منهم من الشدة والقساوة ما ترجمته:

«إننا نجد أشياء خالية عن كل حجة تتناقلها الأفكار بأوروبا مما كان يقاسيه الأسارى من النصارى عند مولاى إسماعيل من الشدة، مع أنه لم يكن يعاملهم بأكثر مما يعامل به غيرهم من الجناة، وإننا لم نجد ما يعتمد فيما نسبوه إليه إلا ما نقله الأوروبيون فى تواريخهم وخصوصا رجال الدين منهم، وذلك بعيد جدا عن الصحة، فإنهم كتبوا ذلك بدون تروٍّ، إنما قصدهم إغراء القراء وإيغار صدورهم

وتهييج الأفكار لمقاومة هذا الملك لأن مؤرخى العرب لم يتعرض واحد منهم لشرح هذه القساوة».

ثم قال: «فممن وصف مولاى إسماعيل بالإفراط فى القساوة (بوسنو) و(الأب فرانسيسكو) فتلقى منهم ذلك المسيو (بلانطى) و (كاستيلانوس) بدون تروٍّ.

وممن رفض ذلك واعتبره من باب الخرافات المسيو (الامارتنيلان) وأقربهم إلى الحقيقة المسيو (بودجيت ميكين) حيث قال: إن قساوة مولاى إسماعيل هى نتيجة أحوال زمانه الذى يعيش فيه، ولئن فاق الملوك قساوة فلقد فاقهم قوة، وبسبب جهل المؤلفين للزمان والمكان فإنهم أغفلوا التحفظ عند تتبعهم الأعمال الدموية التى قام بها مولاى إسماعيل، ومن أجل ذلك حكموا عليه بصرامة خالية عن كل إنصاف.

ثم بعد أن وصف مولاى إسماعيل بالقوة الكاملة فى الباءة التى أوجبت له تعدد الأزواج المباح له فى شريعته السمحة وما علقه الأوروبيون على ذلك، قال: فإننا نرى مولاى إسماعيل يطوف فى مماليكه وتمر عليه الأربعة والعشرون سنة وهو على رأس جيوشه يحارب ويقطع الرءوس ويأخذ الجبايات ويستقبل سفراء دول النصارى ويناظر (الآباء دولا مرسى) مناظرة علامة موحد، ويخطب فى المساجد، ويدير أمور مملكته، ويقابل بنفسه بناء قصوره العظيمة، وينظم حرسه الأسود الشهيرة، ويكتب لجاك الثانى، ويحاجج فى دين المسيح.

وحياة مملوءة بأعمال كهذه لا تترك وقتا للشهوات، وذلك قاض بالاعتراف بأنه لم يكن منهمكا فيها».

ومن أكبر البراهين وأوضح الأدلة على ما كان بينه وبين عظماء ملوك أوروبا

من العلائق السياسية ما وقفت عليه فى عدة مكاتب ومخابرات صدرت بينه وبينهم، ألم بكثير منها مؤرخ فرنسا الماهر الشهير الرحالة الفيلسوف الخبير الكنت دو كاسترى فى عدة من كتبه، وإليك نصوص بعضها وصورها الفوتوغرافية، وقد خاطب فيها لويس الرابع عشر ملك فرنسا وجامس ملك الإنجليز ودرنكرلوس ملك إصبانيا.

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، من عبد الله تعلى الإمام المظفر بالله أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى، أيده الله ونصره، ثم الطابع بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، والله وليه وبدائرته العز والإقبال.

«إلى عظيم الروم بفرانصيص لويس الرابع عشر من هذا الاسم، السلام على من اتبع الهدى، وباعد طريق الغى والردى.

أما بعد: فاعلم أن الذى ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح، ولا كلام رجيح، ولا أظنك إلا غلب عليك أهل ديوانك، وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا ولا بقى لك معهم ضرب ولا لقب، ودليل ذلك أننا ما زلنا ما قبضنا منك صحة قول ولا أبرمت معنا شيئا، ففلا منك الذين ليس لهم رئيس وما عندهم إلا الديوان تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم، وثبتوا فيها ووفوا بها، والإنجليز تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم ووفوا بها، فحين ذهب خديمنا لبلادهم لما أن طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموه وبروا به، وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة، وستة عشر مائة قنطارا من البارود ومائة وسبعة من المسلمين، أطلقوهم من الأسر لوجوهنا، وعملوا من الخير ما عملوا مراعاة لنا، وثبتوا فى قولهم ووفوا بكلامهم، وأنت لازال لم يصح منك قول ولا وفاء وأولئك الذين كانوا قدموا إليك من هذه البلاد، ليس هم من خدامنا ولا من أصحابنا ولا ممن له معرفة

ظهير مولاى إسماعيل للويز الرابع عشر ملك فرنسا

معنا، فالحاج على معنين حيث أسر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به، وقدم إليكم على شـأن أولئك المسلمين، وجاز على دار السبـاع ودار النعام، وأتى إليكم بما أتى ولا شـعـرنا به ولا عـرفناه كم أخذ، وقـلنا: إنه إن وصلكم ولابد تعملون له غرضـه فى أولئك المسلمين، وتسرحونهم، فـإذا به هو تحيل على ولده إلى أن جاء به وأنتم ما عملتم صوابا فى غيره، ولا صدر منكم ما تراعون لأجله.

ثم بعد ذلك قدم لعلى مقامنا صـاحبكم انبشدور واتانا بشىء من الخرق مع فالصوا الحرير وهل نـحن ممن يعجبه ذلك ويسره ؟ فنحن معـشر العرب لا نعرف إلا الصحـيح، ولا يسرنا إلا مـا فيه مـصلحة المسلمـين كلهم، ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشـرين نصرانيا سيفطناه بها، وظننا أنك ولابد تراعـى الخير وتبعث لنا ولو عشرين مسلما تجـبر بها خواطرنا، وتكون هى الطريق للكلام الذى تريده منا، فإذا بك ما عملت شيئا من هذا، ولا جازيت بإحسان.

وثانيا قـبضنا لك سفـينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثـلاثة أيام أو أربعة على التـحقـيق، وهى مـوسوقـة بالسكر وتبـغة وثقـفناها نحـوًا من ثلاث سنين بقصدك، ولا تركنا أحـدًا يمد يده فيها، وقلنا إنك تراعى خـيرنا، وتعمل لأولئك المسلمـين طريقـا وتسرحـهم، وإن كـانوا ليس فيـهم من هو خـديمنا ولا من هو محـسوب من جيـشنا، ولا من هو معرفـتنا، فمـا هم إلا من لا خلاق لهم، ولا يركب البحر عندنا إلا أهل التـمرين، ولو أطلقتهم وإن كانوا ليـسوا بشىء فتكون عملت الخير بذلك، وتقول إنك عـملت مسألة تراعى عليها، وأعظم من ذلك كله هو أن رئيسا من بلادنا اسمه التاج كان أعطاه صاحبك الذى أتانا خط يده على أنه يشترى سفـينة من الجزائر يسافر بها قرصـان وما عليه فيمن لقيـه من فرانصيص، فلما أن اشتراها وسـافر بها وغنم قطارمة موسوقة بالرخام والريال مع مـا فيها من الحرير وغـيره وبعثهـا مع أصحابه ستـة وعشرين مـسلما، وتعرضوا لهـا سفنكم وأخذوها وثقـفتهـا أنت أيامًا، ثم بعد ذلك مـزقتها والمسلمـون الذين كانوا معـها خـدمتـهم فى الغراب، فلمـاذا لم تردها وثقفـتـها ثلاث سنين كـما ثقـفنا نحن

سفينتكم؟ وهل هذه هى صحة القول ؟ فـهذا مما يدل على عدم صحة كلامك ومما يثبت الإخلال بقولك، وقلة وفائك.

فحتى الآن، فالذى ظهر لنا أنه ما يليق بنا معك إلا الشر، وإذا أردت تثبيت المهادنة وإبرام الكلام فيها وإمضاء حجـتها، فابعث لنا من عندك قونصو بالتفويض على الأمر، ويجلس هنا فى إحدى مراسينا ويكون الأمناء معه فى هذا كله، ونبرم معـه هذا الأمر ويكون من أهل الحل والربـط عندكم، وإلا فإن ظهـر لكم خلاف ذلك فأعلمنا، وعرفنا بما عليه عملـك، وما أضمرته طويتك والسلام على من اتبع الهدى وفى التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف.

وذكر المؤرخ الكنت المذكور فى كتاب له طبع بباريز سنة ١٩٠٣: أن المترجم كتب لسلطان الإنجليز بما نصه: الحمد لله وحده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، لا رب غيره، ولا معبود سـواه، ثم الطابع السلطانى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى، وبدائرته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيـرا، أيده الله بعزيز نصره وأمده بمعـونته ويسره وخلد فى الصالحـات شريف مناقبه، وجميل ذكره، آمين يارب العالمين:

«إلى طاغـية الإنجليـز القاطن ببـلاد الفرانصـيص يعقـوب المسمى بلسـانهم جـامس، سـلام على من اتبع الهـدى، وتجنب سـبيل الـغى والردى، وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى.

أما بعد: فـإنا كتبناه إليك وأوردناه عليك وأوصلناك بهذا الكـتاب. واعتنينا لك بهذا الخطاب لمسألتين اثنتين إحداهما دينيـة والأخرى سياسية دنيوية، وموجب إيرادهما عليك التنبيه لك والإيقـاظ والنصح والإرشاد، وذلك أن أخاك الذى كان مملكا على الإنجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف، وتقرر عنده من لدنا ما لهـذا الدين الشريف عـلى غيره من الشـفوف والشـرف، فكان من أجل ذلك يطلب منها المهادنة على طنجة، فبعث لمـقامنا العلى بالله من أصحابه وخدامه المرة

ظهير مولاى إسماعيل لجيمس الخامس ملك الإنجليز

الأولى والثانيــة من بعث إنافة بمحلنا وتنويــها بشريف مكاننا وكــانت المواصلة بين الملوك والمراسلة مستنة ومشروعة وإن اختلف اللسان وتباينت الأديان.

فجازيناه على فعله. وكافيناه على شغله. ووجهنا له من خدامنا أنباشا دورا وصل إليه. وقدم عليــه. كما شاهدته ورأيته ففرح بســفيرنا وأكرمه إكرامــا كثيرًا، وسر به وبمقدمه سرورًا كبيرًا. ورجع من عنده مغبوطا مسرورا.

فلم نزل نراعى لهم ذلك، ووفينا له فى جــميع ما كنا عملنا مــعه فى طنجة ولم نرد البــال إلى شىء مما كان يعــمله بها حين أراد الــرحيل عنها، وكــان ينقل خزائنهــا ومدافعهــا وسكانها، وأهل جوارها من المسلمــين يرون ذلك وينهونه إلينا ويقصون ما يشاهدونه علينا وما ألقينا إليه فى ذلك البال. ولا التفتنا إليه بحال من الأحوال. وما ذلك إلا مكافاة له على صنيعه مع ســفيرنا، ووفاء بالقول الذى كان طلبه منا، ووددنا أن لو كــان أخوك بقى حيا إلى أن يشــاهد صنع الله الذى صنعه لنا فى فتح العرايــش من يد لصبنيول، ويرى محاصــرة سبتة اليوم ومــا كان أهلها يصرفونه عليها من الأموال، وما كان يلزمهم فى مؤنتها من ملايين الريال، لتحقق وفاؤنا له، وغــضضنا الطرف عنه وعلم أن الــقول والعهــد الذى أعطيناه لم ننقص شيــئا منه، فالصــواب الذى كان من أخيك والحــق الذى كان يعرفــه لنا هو سبب الكتب إليك مكافأة على صنيعه، وهو الذى أوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيهــا الأمرين المذكورين أول الكتاب، فــأما الدينية منهمــا ففيها خــير الدنيا والآخرة لما فيها من رشادك ونصحك إن وفقك الله تعالى.

وذلك أن تعلم أن الله سبــحانه جل جلاله، وتقدمت صفــاته وأسماؤه، إنما خلق هذا الخلق ليعبــدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا، قــال الله سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾**﴾ [سورة الذاريات].

وهذه العبادة التى أوجب الله على خلقه لابد لها من وسائط يبلغون عن الله لخلقه ما أمرهم به، ومن رحمته بخلقه ورأفته بهم أن جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم، أرسلهم إليهم من أنفسهم واختارهم من أنفسهم، فبعث لهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده، فآمن بهم من أراد الله سعادته، وكفر بهم من كتب شقاوته.

وختمهم بخاتم أنبيائه سيدنا محمد ﷺ، وجعله خاتم النبيئين وسيد المرسلين، وجعل دينه خير الأديان، وشريعته أفضل الشرائع، وملته خير الملل.

ولقد بشر به وبمبعثه عيسى، كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام، ونبينا عليه السلام وإن كان آخر الأنبياء بعثا فهو أولهم خلقا.

ومما يجب اعتقاده أن الانبياء كلهم يجب الإيمان بهم فلا نفرق بين أحد منهم، وأن المسيح بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون، ولا إطراء مما تطرون، قال الله تعالى فى حق أمه الصديقة: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾**﴾ [سورة التحريم]: وقال تعالى فى حقه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾**﴾ [سورة آل عمران]: وقال تعالى: ﴿**... إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾**﴾ [سورة النساء].

ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله إليه، وأن اليهود لعنهم الله ما قتلوه وما

صلبوه ولكن شبه لهم، وأنه ينزل بين يدى الساعة فيجد المهدى من هذه الأمة من ولد فاطمة ابنة النبى ﷺ يقاتل الدجال، ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يا نبى الله أو يا روح الله، فيقول له عليه السلام عليك أقيمت فيصلى خلف رجل من أمة نبينا ﷺ ويحكم بشريعته، ويقتل الدجال فينكره النصارى، ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر، ويقول يا بنى الله هذا يهودى ورائى فاقتله.

وقد أخبرنا بهذا كله نبينا ﷺ بقوله والذى نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم المسيح بن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل إلا الإسلام.

وهو معدود فى أصحاب نبينا ﷺ وقد عرف هذا جماعة من أعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشى ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا ﷺ يوم مات وهو بأرض الحبشة، وهو أحد من خاطبه النبى ﷺ ودعاه إلى الاسلام، كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذى لجأت إليه وأنت مقيم لديه، ولقد كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأ كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده، سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته وما يدعو إليه وما يأمر به وما ينهى عنه فقال إنه النبى المنتظر الذى بشر به عيسى، وسيملك موضع قدمى هاتين وشاور أرباب دولته وأهل ملته فى اتباعه فضجوا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فساعفهم وساعدهم بخلا بملكه وحين بلغ خبره نبينا ﷺ قال: ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت فى قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان لكنه لم يسمح بملكه.

وبكل حال من الأحوال فهذا الدين الحنيفى هو الذى اختاره الله دينا، وارتضى له نبيا أمينا، وجعله أفضل الأديان، قال الله سبحانه فى محكم القرآن: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ...** ﴿١٩﴾﴾. وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن**

﴿يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران]. فمن أمعن النظر واستعمل الفكر ووزن الأديان بميزان الحق والعقل عرف أن دين الإسلام هو الدين، وأن غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذى ختم به الأنبياء، وتقرر لديه أنها كلها باطلة وأهلها للنار.

وقد وقع اختبار الأديان وأيهم أفضل لبعض عقلاء النصارى، وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود فأراد أن يختبرهم من جهة المعقول، فأتى نصرانيا وقال له أى الأديان أفضل؟ دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصرانى دين النصارى أفضل، فقال له وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين المسلمين؟ فقال له النصرانى: دين المسلمين.

فأتى اليهودى وقال له أى الأديان أفضل دين المسلمين أو دين النصارى أو دين اليهود؟ فقال له: دين اليهود، فقال له: وأيهما أحسن أدين النصارى أم دين المسلمين؟ فقال له: دين المسلمين.

فأتى المسلم وقال له: أى الأديان أفضل؟ فقال له دين المسلمين فقال له: وأى الدينين أفضل دين اليهود أو دين النصارى؟ فقال له: لا خير فيهما معا.

فالدين القويم هو دين المسلمين، فعرف هذا النصرانى المذكور بعقله أن الدين هو دين الإسلام وأن ما سواه محض ضلال، وأن اليهود والنصارى ليسوا على شىء وقد وقع معنى هذا فى كتابنا قال الله عز وجل: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ** ... ﴿١١٣﴾﴾. [سورة البقرة].

وها نحن قد أملينا عليك نبذة من الآى القرآنية والأحاديث النبوية والدلائل المعقولية المطبقة على أفضلية هذا الدين القويم، وغيره كله إنما هو فى سواء

الجحيم، وأنت إن خممت مع رأسك وفكرت فى نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار، فأنت عرفت سبيلهما، فاتبع هذا الدين الحنيفى وانطق بالشهادتين فإن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل الجنة ولو قالها مرة فى عمره، ويدخلها بشفاعة النبى ﷺ فإن له فى أهل الكبائر والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شفاعة عظمى خصه بها ربه فى الموقف العظيم، والله إن أنت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقك الله إليه وعلمت ما عمله قيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به فى نفسه حتى تحمد ذلك حالا ومآلا إن شاء الله.

فهذه المسألة الدينية التى نصحناك بها والمسألة الدنيوية هى إذا أنت أحببت الإبقاء على دين الكفر فدين قومك الإنجليز أخف وأيسر عليك من عبادة الصليب، ومتابعة الذين يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم، وأى شىء رأيت فى تغريبك عن وطنك وبعدك عن بلدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك بدين غير دين قومك، وإن كان الجميع على ضلال فدينكم أنتم معشر الريكس أيسر من أولئكم المتوغلين فى الكفر، وحتى امرأتك الفرنسيسة التى كانت تحوزك على التعبد بدينها، هأنت الآن افترقت معها، فعلى ماذا أنت باق فى جوار الفرنسيس تارك ملتك وادع ملك أبيك وأخيك لغيرك بالفلامك يتملك على جنسك وأنت بالحياة، فوالله ما أحببنا لداركم ولا لمملكتكم يتولى رياستها الفلامك أو غيره، فالغ عنك ما تقدم بينك وبين قومك فإن الصواب معهم فى الإنكار عليك بسبب الدين الذى اختلفت معهم فيه، واعتذر لهم وعاودهم وراجعهم، والله لولا أنا أناس عرب لا معرفة لنا بالبحر، أو كان عندنا من يحسن معرفته، أو نستوثق به فى الجيش ونطلقه فى يده حتى نكاتب الإنجليز ونبعث لك من الجيش ما تدخل به عليهم وتتولى به ملكك.

ولكن مسألة واحدة نعرفك إياها فحاول حتى تنتصل من بلاد الفرنسيس،

واقصد لجوبة بلاد البرتقال وها زوجة أخيك البـرتقالية اليوم هنالك، ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك، وتسهل عليك مناولة الكلام معهم، لكن بحيث لا يكون للافـرنسيس بك شعور، وأما إذا عرفوا منك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسألتين: إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قـومك، والثانيـة يخـافون أنك إذا راجـعت قومك ربما تعـاديهم وتحاربهم لا سيما حيث عرفـتهم وعرفت عزة بلادهم، والملوك دائما تحذر من مثل هذا، وقـد نصـحناك وأريناك مـا يليق بك فى دينك ودنيـاك ووالله مـا نكره لك الهداية والرشاد.

وقد بلغنا أنك تروم الوصول إلى رومـة، فإياك وأن تحدث نفسك بشىء من ذلك، فإنك إذا دخلتهـا تحتل بها ولا تطمع فى الخروج منهـا ولا فى ملك بعدها أبدا، فعلى كل حال إن أنـت راجعت قومك ودينك نجدد معك مـا كان بيننا وبين أخيك، ووالله ما زال خديمنا الذى كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ما أوجب مكاتبتنا لك بنصـحنا، وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فـتنتفع بها على كل حال إن شاء الله، والسلام على من اتبع الهدى.

وكتب فى النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة وألف».

ومن ذلك ما وقفت عليه خطابا لملك الإصبان وإليك لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، من عبد الله إسماعيل المتوكل على الله المفوض أمـوره إلى الله، أمير المؤمنين المجاهد فى سبيل رب العالمين الشريف الحسنى أيده الله آمين، ثم الطابع الملوكى بداخله إسماعيل بن الشـريف الحسنى أيده الله ونصـره وبدائرته: إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا:

ظهير مولاى إسماعيل لملك الإسبان فى افتكاك بعض الأسارى
وانتقاء بعض الكتب

«إلى عظيم الروم وملك أقاليم إصبانية وبلاد الهند والمتولى أمورها والمتصرف فى أقطارها (دون كراوس) السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد: فقد بلغنا كتابكم صحبة خديمكم (دون منويل بيردلون) وخديمكم (دون ابيل مسيح) وهو الكتاب الذى وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذى أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلى قبل هذا وبعد أن قرأناه وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم (دون ابيل مسيح) ما فى خاطركم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع الكلام قبل هذا، رددنا إليكم جواب كتابكم، ووجهناه مع خدم دارنا العلية بالله كاتبنا ومتولى الخط الأقرب من بساطنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير، ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ما سمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا، وأذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبى الحسن القائد على بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه، فوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرا له ومرافقا، وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الإسلام المظفر بالله على نصارى العرايش وفى علمه وعلى باله كان ما كان فى ذلك من الكلام والأسباب، وكيفية الخبر فى ذلك.

فثقوا به وتعرفوا منه فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساطنا العلى بالله فى سائر أوقاته، ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح، ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الأنساب ما يوجب عدم الوفاء لهم بذلك، فمنهم من كان ينادى بلفظ مينا على رءوسهم، ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك لذلك القول وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم، وبعضهم ركب لجج البحر فارا بنفسه حتى أُدرك وقتل على الموج، وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وأئمة ديننا بأن قالوا لنا: إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتئذ ووقع الغلب والظفر،

ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق فلا وجه لسراحهم فى الشريعة رأسا.

وكنا فى أثناء هذه المدة كلها نتراد الكلام مع هؤلاء العلماء حفظهم الله، وقالوا لنا: هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه، كيف وقد أخذوا العرايش من أول وهلة بلا موجب، بل أضغطوا الشيخ ابن السلطان الذهبى وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرايش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقى فى ذلك.

وذكرونا فى مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم بما يزيد على الأربعين ألفا بعد تعدد الشروط على ستين شرطا، ولم يوفوا لهم بواحد منها إلى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس فى كل بلد وقرية بعد بلد وقرية، فألفيناهم ما تكلموا إلا بالحق، وبقينا فى حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين: الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التى هى أساس ديننا، والوجه الثانى ذلك القول الذى سمعه فى تلك المائة أحببنا الوفاء به، وأنفت نفوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولا نوفى بها، ولولا معاوضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوى لكنا شرحنا هذه المائة مع الفرائلى وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين، فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا فى هذه النازلة لابد منه ولا محيد عنه، وأحببنا أن تسمع الناس أنا وفينا فى قولنا ولم يلزم فيه حرج ولا معارضة ولا كثرة اعتراض ولم يلزم فيه من حجة الشرع إثم، فأردنا كم تعملون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجه الذى عملناه لكم وأعطيناكم فسحة فيه، وإلا فالمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم.

وذلك أن تعطونا فى الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب مائة كتاب عن كل نصرانى من كتب الإسلام الصحيحة المختارة المثقفة فى خزائنهم

بإشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة أسير من المسلمين فى الخمسين الأخرى عشرة أسارى لكل نصرانى، وإن لم توجد الكتب التى هى مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين وأعطوهم لنا من الأسارى الذين فى الأغرية وغيرهم، وقبلنا منكم فى العدد المذكور الرجل والمرأة والصبى والصغير أو الكبير والشيخ المسن من إيالتنا وغيرها، إذ ما لنا قصد إلا فى الأجر والثواب فى فكاك أسرى المسلمين كيفما كانوا، ومن أى بلاد كانوا.

وإلا فالاعتناء الكلى إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصد بفكاكهم وجه الله تعالى، فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملكم إلا الخير فى أرواحكم وفى إخوانكم، وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدروا عليه فأرجعوا خديمنا الكاتب الذى وجهناه إليكم فى أمان الله كما أتاكم والمائة من النصارى نصيرهم من جملة الأسارى إخوانهم يخدمون مثلهم.

وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد فى ابتغاء مرضاتنا وأنجزتم بأرواحكم فى هذه المسألة فلا ترون منا إلا ما يعجبكم وحتى باقى نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرايش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام فى سراحهم بما يرضينا فيهم عندكم إن عملتم الواجب الذى لنا عليكم، وتعرفهم الصواب الذى تعين عليكم كما ذكرتم فى كتابكم، وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه فى هذه المسألة نتلقاه هذه المائة نصرانى لسبتة ويكون ملتقى الجميع فيها ولا عندنا معكم فى هذا إلا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى.

وكتب لسادس عشر ذى الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف».

وهداياهم للمترجم من الشائع الذائع الذى لا نحتاج معه لإقامة دليل ولا

برهان لوروده فى غير ما تاريخ من التواريخ الأروبية المهمة كتواريخ الكنت المذكور وكتب مويت الأسير وغير ذلك.

ومن الآثار الباقية من تلك الهدايا الملكية لحد الآن المشاهدة بالعيان البقية الباقية من آثار العربة التى وجه بها للمترجم الأمير العظيم الطائر الصيت لويز الرابع عشر.

ومن ذلك هدية ملك الإسبان التى بعثها لمولاى إسماعيل وهى تشتمل على مائة وخمسين ألف (أبياسطر) عينا وفتاة تركية معها عدد من الفتيات الجميلات، ودبين، وأربعة كلاب من أرفع جنس، وأربعة من الغزلان الجبلية كما نقلت ذلك مجلة (سبريس) عن تاريخ دوكاسترى.

ومما ذكرته المجلة المذكورة سنة ١٩٢٨: أن الجزء الثالث فى تاريخ العلويين من عيون التاريخ للمستعرب الكونت دوكاسترى الفرنسى الذى هو الجزء ١٥ من المجموعة كلها يحتوى على السنين الست التى ابتداؤها من ثانى شتنبر ١٦٨٦ وآخرها ١٢ إبريل ١٦٩٣.

وأن هناك مخابرة كانت بين المغرب وفرنسا وقد تسببت هذه المخابرة بين دولة المغرب ودولة فرنسا على نقض الصلح المنعقد بينهما سنة ١٦٨٢.

وسبب نقض هذا الصلح هو استفحال أمر القرصنة بسلا - أولا فقد كان عدد الأسرى من الفرنسيين وحدهم فى ذلك الحين بالمغرب ما ينيف على ٤٠٠ - وثانيا ما حدث من سوء التفاهم فى المخابرة بين على بن عبد الله باشا طنجة وبين الدولة الفرنسية، لأن قنصل فرنسا وبعض قناصل الدول الأخرى لم يستطيعوا أن يخابروا المولى إسماعيل رأسا سنة ١٦٨٦ لأنه كان غازيا بالسوس الأقصى إلى أن نشأ عن سوء التفاهم المذكور توجيه أسطول صغير لشواطئ المغرب تحت رياسة

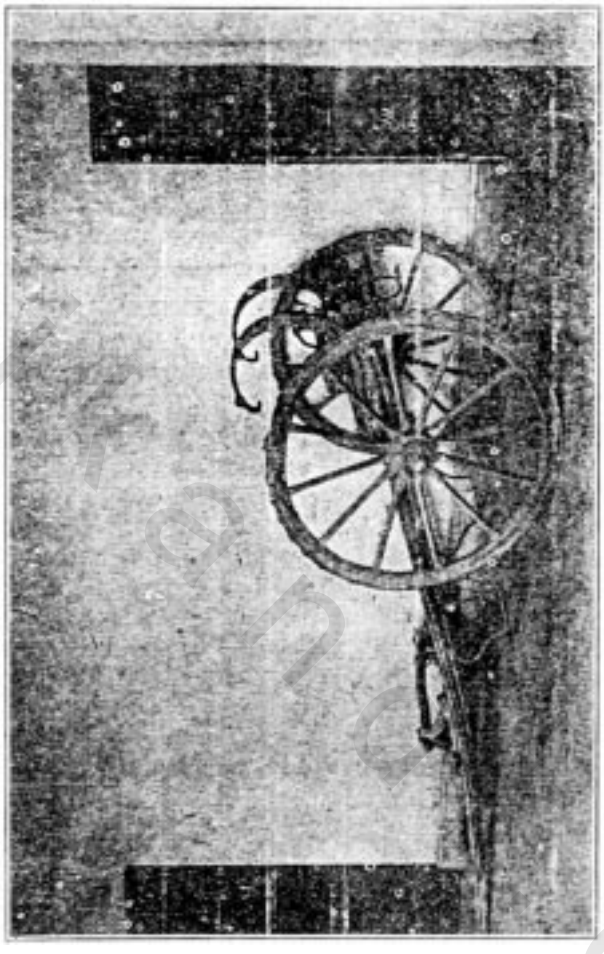

العربة التى أهداها لويز الرابع عشر لمولاى إسماعيل

(مونت مـار) ينتظم الأسطول من قطع ٧ فهـبت عليه عاصـفة فـرقت شمله ولم ينجح، وأخفق سعيـه فى الكرة ثانيا لمصادفة الحال اشتغـال ملك فرنسا فى حروب داخلية مع فئة (أو كسبور).

ثم أصدر لـويز ١٤ أمره سنة ٨٧ بقطع الوصلة التـجارية بينه وبيـن المغرب لأنه كان لا يمكنـه أن يحمل التجـار الفرنسيـين المتعـاطين للتجارة بـالمغرب على مبارحته وإخـلائه لقضاء مصالحهم عليهم بالبقاء به، ورغـما عن ذلك فإن التجارة بقيت مستمرة مع ضعف، ونجح تجار الإسبان والإنجليز فى ذلك الوقت، وفى عام ٨٨ ألزمهم مولاى إسماعيل بأداء غرامـات باهضة اضطر بسببها لويز ١٤ للإرجاع فى منع التجارة التى كان حجـز بينه وبين الدولة المغربية، وذلك إثر رجوع مولاى إسمـاعيـل من حركـة السوس وعـادت المواصلة لما كانت عليـه، وأصدر مـولاى إسمـاعيل أمره بجـمع الأسرى الذين بالمغرب وتوجـيههم لمكـناس وجعلهم تحت نظره، وهذا أول حجارة وضعت فى بناء أساس المودة بين لويز ١٤ وبين السلطان.

ولما حل الأسـارى بمكناس بالغ السلطان فـى إكرامـهم وأجـزل لهم العطاء وغـمرهم فى البـر، وأسقط عنهم كل كـلفة كـان يتحـملها أسـارى غيـرهم من الأجناس.

ومع ذلك تأخـر عقد المعـاهدة فى تلك السنة لاشتـغال مـولاى إسمـاعيل بمحاصرة العرايش وحرب باى الجزائر.

ثم لم يلبث مولاى إسمـاعيل أن تكدر جو السياسة بينه وبين فـرنسا بسبب حادثة غريبة، وهى أن أحد أشراف المسلمـين كان قد أسر ولبث زمنا طويلا بفرنسا إلى أن افتـداه مولاى إسـماعيل مع جـمع من الأسرى، فلمـا ورد مكناس وردها مجذوم الأنف أصلم الأذنين، فاستاء مـولاى إسماعيل مما عومل به ذلك الشريف

ولم يسكن غضبه حتى قرر له سفير فـرنسا أن الأسير المذكور استوجب ذلك عقابا لاغتياله بعض الناس بفرنسا.

ثم اشتـغل مولاى إسماعـيل بقضية العـرايش وافتداء أسراها مع الإصـبان وأذعن الإصبـان لأن يفتـدى كل أسيـر من أسراها بعـشرة من المسلمـين، مع أن المفادات مع فـرنسا كانت رأسا برأس، وأشار فـى هذا الجزء لقضية فـتح العرايش بأمتع بيان، فليرجع إليه من أراد الاستقصاء.

وبعد افتتاح العـرايش تفرغ مولاى إسماعيل لإبرام المعاهدة مع سـفير فرنسا فتمت فى ١٢ إبريل عام ١٦٩٣.

وتجد أيضا فى الجزء نفسـه من الحوادث الداخلية التى وقعت فى المغرب فى السنين المذكورة كأخـذه لترودانت من يد مولاى الحسن وغزوه للسوس واسـتيلائه ومحاصرته للعرايش إلى أن وقعت فى يده ومحاربة باى الجزائر.

قال: ولا ننس فضل دوكاسترى على تاريخ المغـرب فى تحقيقه لهذه المسائل ومن أراد مزيد البـيان بمراجعـة وصف هذه الحروب فليـراجع ما كتـبه الأتراك فى التأليف المسـمى دفتر التشـريفات الذى نشره (ديفل) سنة ١٦٥٢ وقـد أعاد الكنت دوكاسـترى طبعه باللسـان التركى الذى كتب به مع التـرجمة الفرنسـية بقلم ديفل المذكور الناشر الأول، وترجمـة أخرى بقلم دوكاستر الناشر الثانى مصـححة معلقا عليها.

هذا وقد وصف مـولاى إسمـاعيل غيـر واحد ممن درس حيـاته بأنه آية فى الدهاء والسياسة والنبـاهة وصدق اللهجة، نشأ فى حرز وصـون وعفاف، وكان ذا جد واجتهاد وحزم وعزم ونجدة وشهامة وشجاعة ومروءة وقناعة ومتانة دين.

قال فى تاريخ انقلاب دول الغرب (لابريط ويت) الانجليزى صحيفة ٥:

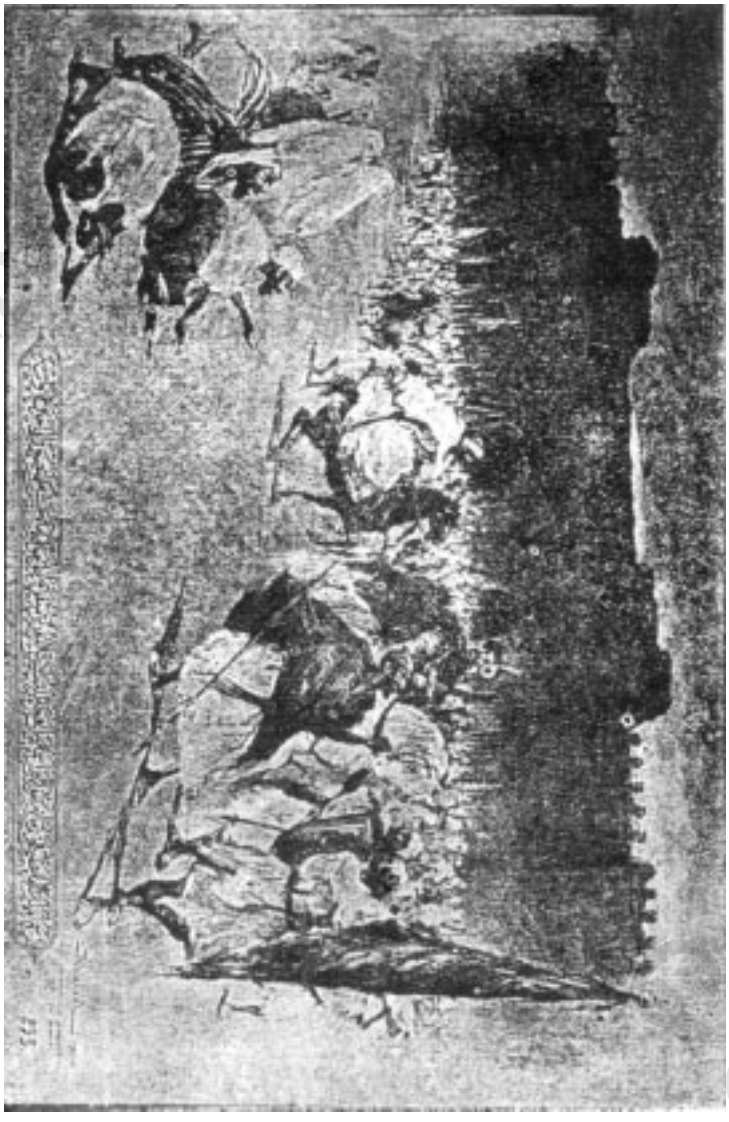

**مولای إسماعيل خارجا وسط جيشه من مكناس**

«إن مولاى إسماعيل كان غير أكـول قنوعا من كل شىء غير النساء محافظا على أمور ديانته محافظة تامة».

وقـد كان عـارفـا بفلسـفة التـاريخ وأيام العـرب وأنسـابها وأحـوال الأمم ووقائعها، إماما مرجوعا إليه فى السيرة النبوية وضبطها.

استخلـفه أخوه المولى الرشيـد بفاس ومكناس فحسنت سـيرته، ثم بويع له بالخلافة العامة بعد وفاة أخيه المذكور سنة اثنتين وثمانين وألف وهو إذ ذاك بمكناسة الزيتون كـما فى الترجمان المـعرب، فوفد عليه عـلماء فاس وأعيانهـا وأهل القوة والبأس منها ببيعتهم، ثم تتابعت وفود القبائل المغربية على أعتابه ببيعتهم.

فنهض بأعباء الخلافة وأقام للعدل قسطاسا، ورتب أمور المملكة ودوخ البلاد سهلها والجبل، واسـتنزل العصاة من صياصيهم وقـام فى وجه الثوار الأقارب من إخوانه وبنى عمه وأولاده وغيرهم من الأباعد، وكان النصر حليفه.

وفتح من الثـغور: المهدية والعـرايش وأصيلة وطنجة، وضـبط الأمور وبنى الدور والقصور والمساجـد والرباطات والقلع فى الغور والنجد من وجدة إلى وادى نون، وعمـرها بالجنود السـود لحراسة السـبل وتأمينـها ونزع السلاح والخـيل من القبائل، ولم يتـرك شيئا من ذلك إلا لأهل الريف وآيت يمـور من البربر والودايا وعـرب المعقل وجـيش العـبـيد، ومن نتج لـه فرس يكون للحـكومة، وأمـرهم بالاشتغال بالفـلاحة والقيام على الماشية والاشتغـال بما يعنيهم من صناعة وتجارة، فعظمت ثروة البلاد وكثر الروجان الذى لم يتقدم له نظير، وجمع أهل الذعائر من كل قبيلة وأودعهم سجونه فكانوا يخدمـون فى البناء مع أسارى الكفار ويبيتون فى الدهاليس، فسـاد الأمن فى دولته حتى كانت المرأة والذمى يسـافران، المدة لطويلة فى البلاد القفرة فلا يتعرض لهما أحد بسوء، بل ولا يسألهما من أين ولا إلى أين إلا ما كان من الحرس المكلف بتأمين السبل وحياطة المارة.

ونفقت فى أيامه الزاهرة سلع العلم والأدب، وتوالى الخصب وعم الرخاء، وإلى ذلك أشار أبو القاسم الزيانى فى ألفية السلوك بقوله:

فى عام جفش[١٠٨٣] تم بدره وصال ... ومهد المغرب سهلا وجبال[(١)]

وقال للسلاح والخيل اغربى ... من كل حى عجمى أو عربى

وجمع الذعار فى الدهالس ... وغيرهم من أرباب المناحس

وجمع العبيد من كل بلد ... جند كل السود لم يترك أحد

وصارت الغنم والذياب ... ترعى بسرح ما لها أنياب

أيامه غزيرة الأمطار ... كثيرة الخيرات والثمار

الزرع والإدام والمواشى ... رخيصة وكل شىء فاش

وطهر الثغور من أهل الصليب ... وعمر الحصون وفق ما يجب

حتى أتاه القدر المحتوم ... فى شقطل[١١٣٩] فحلت الهموم

ولا يخفى ما فى هذا النظم من الكسر والركاكة[(٢)] وإنما سقناه لفائدته التاريخية وشهرة صاحبه.

وكان المترجم يرشح مهرة الطلبة العارفين بنسخ الكتب وضبطها وإتقانها أصحاب الخط البارع من فاس ومكناس وغيرهما من العواصم المغربية لنسخ كتب الأحاجى والروايات كألف ليلة وليلة، والعنترية سيرة عنترة بن شداد وغير ذلك، ويعدد النسخ منه ويفرقها فى جيشه وكبراء عسكره ويلزمهم مطالعتها ومزاولتها

---

(١) فى هامش المطبوع: «لم يراع الكسر وإلا فبيعته كانت فى متم عام ١٠٨٢ دون نزاع. انتهى. مؤلف».

(٢) أبقيناه كما هو لرغبة المؤلف.

حتى تصير لديهم من الضروريات، وقصده بذلك صيروتهم على بال مما جمعته من مكايد الحروب والكر والفر وتدبير نزول الجيوش والأخذ بالأحوط فى ذلك، وكيفية الهجوم وافتتاح المحاربة، وعقد الصلح والمهادنة، وترتيب الشروط، وتعلم الإقدام والمخاطرة، وإدراك المراتب بالمزايا زيادة على ما فى ذلك من إعانة العسكر على السهر للحراسة وغير ذلك.

ومن المقرر المعلوم أن المحاجات والأسئلة والأجوبة تحد الذهن وتذكى العقل وتعلم الصغار التحيل فى الكلام واختيار ما يأتى وما يذر. وحكايات مجالس الحكام والوزراء لها أثر كبير فى ردع رؤساء الدولة واحتياطهم فى أحكامهم وتأنيهم فى قضاياهم خشية أن ينقل عنهم ما يشين فيفتضح غرضهم، وهذا أمر محسوس فى الأدب والتربية، ومن لم يكن يحفظ فصولا عدة من تلك الأحاجى والروايات لا يعد من عبيد البخارى الأحرار.

**استطراد**: أما مدينة المهدية فهى من جملة مدائن يفرن فى القديم، انتزعها من يدهم أمراء برغواطة وعَمّروا ساحتها ببنى حسن الذين هم بها لهذا العهد بالضفة اليسرى من وادى سبو، وخربوها فيما خربوه من المدائن.

وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة جدد بناءها جوهر الصقلى، ولما أنزل يعقوب المنصور الموحدى العرب من رباح الهلاليين ببلاد الهبط أنزل بنى مالك منهم على الضفة اليمنى من النهر المذكور، وجدد بناءها وجعلها مركزًا لرياسة العرب الهلاليين، فأعاروها جانبا من البداوة وبقيت على حالها إلى أن هدمها أسطول صاحب برشلونة سنة ثلاث وستين وستمائة، وبقيت على خرابها إلى أن نزل بها البرتقاليون سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة فشرعوا فى تحصينها، وبعد ثلاث سنين أخرجهم منها أبو عبد الله الوطاسى.

ثم فى سنة ثلاث وثلاثين وألف استولى عليها الإصبان وحصنوها وعمروها

إلى أن أخرجهم منها صاحب الترجمة سنة ثنتين وتسعين وألف، وأنزل بها جيش العبيد وأوزاعا من عرب الناحية وهى على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة العرايش: فهى مدينة قديمة تعرف بـ «سفدد» بباء فسين ففاء فدالين، كان صاحبها من بقية الأدراسة أحمد بن القاسم جنون تحت طاعة محمد الناصر صاحب قرطبة سنة ٣٣٧، ثم أخرجه منها جوهر قائد جيش الفاطميين، ثم صارت تابعة لعمال المروانيين ومن أتى بعدهم إلى أن أنزل بها يعقوب المنصور الموحدى العرب الهلاليين فجعلوها قاعدة رياستهم وأطلقوا عليها اسم العرايش، فصارت إلى البداوة أقرب، سيما وقد هدمها أسطول الإفرنج سنة ٦٦٨ وبقيت على خرابها إلى سنة ٩١٠، فنزلها البرتقاليون وبنوها وعمروها إلى أن أخرجهم منها المنصور السعدى سنة ٩٨٦، فاعتنى بها وحصنها وبنى قصبتها، ثم فى سنة ١٠١٩ ساعد محمد الشيخ الإصبان بتسليمها لهم وبقوا بها إلى أن أخرجهم منها المترجم سنة ١١٠١ وهى على ذلك إلى الحين الحالى.

وأما أصيلة: فكانت ساحتها تقام بها سوق أوائل القرن الثالث يقصدها الناس من الأمصار بأنواع المتاجر وتكاثر البناء بها إلى أن صارت قرية آهلة، ثم قدم إليها القاسم بن إدريس عندما أخرجه أخوه محمد من البصرة فنزلها وزهد فى الملك، وبنى مسجدها على ضفة البحر وسورها وبنى قصرها، ثم تولاها ابنه إبراهيم ولم تزل بِيَدِ بنيه إلى أن صارت للحسن الحجام، ثم لموسى بن العافية سنة ٣١١ إلى أن نزل عليها أسطول بنى العزفى وأهل سبتة سنة ٦٦٣، فهدَّ أبو القاسم منهم قصبتها وخربها، وفى عام ٨٧٦ قام بها أبو عبد الله محمد الشيخ ابن أبى زكرياء الوطاسى مؤسس دولة بنى وطاس واتخذها عاصمة.

وفى السنة نفسها نزل عليها أسطول البرتقال واحتلها فى غيبة أبى عبد الله، وظفر ببيت ماله وأسر ولده محمد فبقى فى أسره سبع سنين ورجع، فكان يدعى بمحمد البرتقالى.

وحصنها البرتقاليون وجددوا بناءها وأقاموا بها إلى أن فتحها صاحب الترجمة سنة ثنتين ومائة وألف، وعمرها أهل الناحية فهى على ذلك لهذا العهد.

وأما مدينة طَنْجة = بفتح فسكون = فهى بشاطئ البحر المحيط بمدخل الزقاق الفاصل بين قارتى إفريقية وأوروبا مقابلة للجزيرة الخضراء، أسس بناءها القرطاجنيون وكانت من أعظم مدائنهم بإفريقية، حازت من الضخامة وعلو الشأن ما لا يدرك شأوه، ثم طغى عليها البحر وبقى طرف منها لهذا العهد يعرف بطنجة القديمة جاء الفتح الإسلامى وخرائب هذه المدينة العتيقة قائمة للعيان.

قال أبو عبيد البكرى فى المسالك عند ذكر طنجة وليلى الحادثة وطنجة البيضاء القديمة المذكورة فى التاريخ فيها آثار للأول كثيرة من قصور وأفناء وغيران وماء مجلوب فى قناو رخام كثير وصخر منجور وتحتفر خزائنها فيوجد فيها أصناف الجواهر فى قبور أولية وغيرها من المواضع وقد غلب على مدينة طنجة القديمة الرمل والعمارة اليوم فوقها انظر تمام كلامه فيه(١).

ثم عندما دخل المسلمون قارة إفريقية فتحت طنجة على يد عقبة بن نافع الفهرى سنة ثنتين وستين من الهجرة، وولى عليها من قبله وعقد الصلح من يوليان صاحب سبتة، وأعمال غمارة على الجزية وبقيت طنجة تعلو وتسفل مع الزمان إلى أن استولى عليها البرتقاليون سنة تسع وستين وثمانمائة، فأقاموا بها إلى أن اندمج البرتقاليون تحت حكم دولة الإصبان، ثم تنازلت عنها لدولة انكلترا وبقيت تحت ولايتهم إلى أن كانت سنة خمس وتسعين وألف، فحاصرها أبو الحسن على بن عبد الله الريفى فى جيوش أهل الريف بإذن سيدنا الجد السلطان صاحب الترجمة، ولما اشتد الحصار عليها عمد من بها من الإنجليز إلى تخريبها وهدم حصونها وركبوا سفنهم وتركوها، فدخلتها الجنود الإسماعيلية من

(١) المسالك والممالك للبكرى ٢/ ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٨.

غير قتال، وجدد ما تهدم منها، وأسس مسجد قصبتها وغيره وهى على ذلك لهذا العهد.

هذا وقد أفردت ترجمة هذا الإمام المترجم بمؤلف وسميته بـ «المنزع اللطيف، فى التلميح لمفاخر مولاى إسماعيل بن الشريف» ورتبته على أربعة وعشرين بابا:

- الباب الأول فى التعريف به.
- الثانى فى سيرته.
- الثالث فى شفقته على الرعية وحنانه.
- الرابع فى شغفه بالعلم ورفعه منار أهله.
- الخامس فى صدق فراسته.
- السادس فى سيره فى جيوشه.
- السابع فى فتوحاته.
- الثامن فى علائقه السياسية مع الدول الإسلامية والأوروبية.
- التاسع فى اهتمامه بتحقيق أحساب وأنساب سكان عاصمة ملكه مكناسة الزيتون وأمره بتدوين ذلك.
- العاشر فى قضاته.
- الحادى عشر فى خلفائه من أولاده.
- الثانى عشر فى وزرائه.
- الثالث عشر فى نسائه.
- الرابع عشر فى عماله وولاة أمره من أُمناء ونظار وحجاب.



obeikandl.com

- الخامس عشر فى سفرائه إلى الدول.
- السادس عشر فى أطبائه.
- السابع عشر فى شعراء دولته.
- الثامن عشر فى بناءاته.
- التاسع عشر فيما غرسه من الجنات والبساتين.
- العشرون فى عدد ما خلفه من الأولاد.
- الواحد والعشرون فيما خلفه فى سجونه من الأسارى وأرباب الجرائم.
- الثانى والعشرون فى إخلاص رعيته فى محبته.
- الثالث والعشرون فيما قيل فيه من الأمداح.
- الرابع والعشرون فى وفاته، وكل باب يحتوى على فصول وفوائد تاريخية مهمة تسر الناظرين.

مشيخته: أخذ عن وزيره اليحمدى حسبما صرح بذلك عن نفسه كما أخذ عن غيره من الأعلام.

ولادته: ولد بالسوس عام ستة وخمسين وألف هكذا فى بعض التواريخ والشائع عند جميع أشراف تافيلالت على ما شافهنى به الشريف العدل البركة الضابط مولاى عبد السلام بن محمد بن الشريف بن على بن عبد الرحمن بن الحران بن محمد بن على الصغير دفين باب إِيلان من مراكش قائلا: إنه تلقى من أعيان كبراء الأشراف وأعلامهم الأثبات أن المترجم ولد بتافيلالت بالقصر المعروف بامجار، وأن القبة التى ولد بها لا زالت معروفة محترمة، عند الخاصة والعامة إلى الآن وحتى الآن لا يلحقهم فى ذلك أدنى شك ولا تردد وعند الله علم الحقيقة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام تسعة وثلاثين ومائة وألف وقبره مزارة شهيرة عليه صيب الرحمات.

**١٠٥- أيويس: بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية وفتح الواو وسكون الياء والسين المهملة كذا ضبطه فى الأزهار الندية قال وهذا من الأسماء التى يتعذر بيان معناها.**

حاله: فقيه علامة مفتى نوازلى ورد على فاس بعد العشرة السادسة ولازم الأخذ عن الشيوخ حتى برع فى الفقه المالكى، ولازم أبا على بن رحال بمكناسة الزيتون مدة، ثم رحل لفاس وكان يذهب لباديتها ويحضر أسواقهم ويستفتونه ويأتونه بالهدايا، وربما أفتى بغير المشهور.

مشيخته: أخذ عن أبى على بن رحال ومن فى طبقته.

وفاته: توفى بفاس عام سبعين ومائة وألف.

❊❊❊

١٠٥ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢٢٨٧.



openkandl.com